أمل في سانت بطرسبورغ

محمود عمر جمعه

دار المشكاة للنشر والتوزيع
ALMISHKAT
publishing and distribution

أمل

في سانت بطرسبورغ

دار المشكاة للنشر والتوزيع

Dar Al Mishkat for Publication & Distribution

Jordan - Irbid - East District 30 st

Tel: 00962799746818

dar.almishkat@hotmail.com

أمل

في سانت بطرسبورغ

محمود عمر جمعه

دار المشكاة للنشر والتوزيع

2025

المملكةُ الأُردنيَّة الهاشِمِيَّة

2024/11/6521

813.03

جمعه، محمود عمر محمد

أمل في سانت بطرسبورغ؛ محمود عمر محمد جمعه؛ إربد؛ دار المشكاة للنشر والتوزيع، 2025

ر.إ: **2024/11/6521**

الواصفات: الروايات العربية// الأدب العربي// العصر الحديث/

الطبعة الأُولى // 2025

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك : ISBN :978-9923-734-77-3

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع معلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال- ميكانيكية أو إلكترونية أو تصويرًا أو تسجيلًا أو غير ذلك، دون إذن خطي من المؤلف أو الناشر.

دار المشكاة للنشر والتوزيع

إهداء

حتى في أحلك اللحظات، تذكّر أن الأمل ليس شيئًا يُمنح لنا من الخارج، بل هو شعلة نحملها داخلنا، نحافظ عليها رغم العواصف

في عالم مليء بالآمال المحطمة والتحديات القاسية، تبدأ قصة آدم، الشاب الذي حمل على عاتقه حلمًا أكبر من قدراته، ورغم قسوة الظروف، ظل يركض خلفه بكل عزيمة، في رحلة ممتدة بين الغربة والعودة، بين الحب والخسارة، وبين الفقر والثراء، يتحمل آدم عبء أجيال مضت، وحلم يكاد يقترب من التحقق.

لكن، ما من شيء يدوم كما هو، والقدر دائمًا ما يخبئ لنا مفاجآت لا نستطيع التنبؤ بها.

كانت رحلة آدم في الخارج بداية لكسر قيد الفقر، ولكنه سرعان ما اكتشف أن الخلاص ليس بالمال، وأن بعض الجروح لا تلتئم بمرور الوقت، وكانت العودة إلى الوطن؛ حيث تبدأ الحكاية الحقيقية، حيث الألم والحب والتضحية تلتقي في نقطة واحدة.

"أمل في سانت بطرسبورغ" هي ليست مجرد رواية عن الشقاء والتحدي، بل هي قصة عن الإرادة التي لا تنكسر، وعن الإنسان الذي يواجه مصيره بكل ما أوتي من قوة، حتى عندما تصبح الحياة أكثر قسوة مما يمكن تحمّله، إنها قصة البحث عن الأمل، وعن كيفية أن نعيد بناء أنفسنا، حتى عندما تدمرنا اللحظات التي كنا نظن أنها الأكثر أمانًا.

جلس والد آدم أمام نافذة المنزل، يتأمل قطعة الأرض الأخيرة التي كانت ملك العائلة، كانت الأرض تحمل ذكريات لا حصر لها من جيل إلى جيل، هي أكثر من مجرد تربة؛ كانت رمزًا للعائلة، لأحلامهم، لكفاحهم الطويل، لكنه، بعد صراع داخلي طويل، اتخذ قراره، لم يكن القرار سهلًا، ولكنه كان يرى أنه السبيل الوحيد لمنح ابنه فرصة حياة أفضل.

وقف آدم أمام والده، مذهولاً وغير قادر على التعبير عن مشاعره المتضاربة، والده الذي كان بالنسبة له رمزًا للصمود، تخلى عن آخر ما يملكه، فقط ليمنحه فرصة لمستقبلٍ أفضل.

قال له والده بنبرة هادئة ولكنها مليئة بالثقة: "يا بني، هذه الأرض هي آخر قلاعنا الحصينة، لكنها لن تمنحك شيئًا إن بقيت هنا، المستقبل لك هناك، في مكان بعيد، حيث يمكنك أن تبني حياةً جديدة".

قبل مغادرة آدم، اقتربت منه والدته، عيناها مليئتان بالعاطفة والألم في آن واحد، همست له بكلمات ستحفر في ذاكرته إلى الأبد: "أنت الأمل الوحيد لعائلتك يا آدم، أنت من سيكسر لعنة الفقر التي تطاردنا منذ أجيال، لا تَعُد كما خرجت، بل عُد حاملاً النجاح والنور لعائلتك".

بوجه عازم، غادر آدم بلده نحو مدينة سانت بطرسبرغ، المدينة التي كانت تمثل الأمل المجهول، والمستقبل البعيد.

كان آدم يقف أمام نافذة الطائرة، ينظر إلى المدينة التي تضاءلت مع ارتفاع الطائرة في السماء، يتسارع قلبه ما بين الحماس والخوف، غادر مدينته الصغيرة وكل ذكرياته وراءه، بحثًا عن المستقبل الذي طالما حلم به، كانت أفكاره تسبق نبضات قلبه، تعِده بعالم جديد حيث يمكن له أن يُثبت نفسه ويحقق طموحاته.

لكنه لم يكن يعلم أن ما ينتظره في تلك المدينة الجديدة لم يكن مجرد كتبٍ ومحاضرات، كانت هنالك حياة أخرى، أقسى مما تصوره، مليئة بالتحديات والضغوط التي ستعيد تشكيله.

وصل آدم إلى السكن الجامعي، وكانت الغرفة باردة، صامتة كأنها خالية من الحياة، ولم تبدُ له مرحبة، ضاق صدره للحظة، شعر أن هذا المكان بعيد كل البعد عن البيت، عن الدفء، وعن العائلة، ومع ذلك، تذكر كلمات والدته التي سافرت معه إلى هنا عبر المسافات لتظل تنبض في قلبه: "لا تعُد قبل أن تكسر لعنة الفقر، ولا تنسَ.. لقد قدمنا الأرض، وهي كل ما نملك، كي تحصل على هذه الفرصة، لا مجال للاستسلام".

كانت أول ليلة قضاها في غرفته الصغيرة في المدينة البعيدة هادئة حدّ الخوف، السكون يحيط به كأنه يلتهم أفكاره، بدأ يشعر بالوحدة، تلك الوحدة العميقة التي تُذكّره كم هو بعيد عن كل من يحب، لكنه كان عازمًا على المضي قدما، فأحلامه كانت أكبر من أن يثبطها أي شعور مؤقت.

كانت الغرفة بسيطة، بلا زينة أو تفاصيل، لكنها كانت تذكره بهدفه الأكبر، جلس على سريره المتواضع، وأخذ نفسًا عميقًا، متفكرًا في حجم التحدي الذي اختاره لنفسه وفي التضحية التي قدمها أهله من أجله.

في اليوم الأول له في سانت بطرسبرغ، شعر آدم بالضياع والعزلة؛ المدينة غريبة واللغة الروسية تشكل حاجزًا هائلًا أمامه، كل شيء كان صعبًا، بدءًا من التواصل مع الآخرين وصولًا إلى شراء أبسط الأشياء، رغم ذلك، كان عازمًا على مواجهة التحديات؛ فهو يعلم أن نجاحه هو الأمل الوحيد لعائلته.

أخذ يتجول في المدينة بحثًا عن أي فرصة عمل يمكنه الاستفادة منها لتغطية نفقات دراسته ومساعدته في تحمل تكاليف الحياة التي أصبحت ثقيلة على عائلته، كانت فكرة تقسيم وقته بين الجامعة والعمل تبدو شاقة، خاصة أنه لم يتعلم اللغة بعد، لكن عزيمته كانت تدفعه للاستمرار.

تجول بين المحلات الصغيرة والمقاهي، يحاول التواصل بالإشارات وكلمات إنجليزية بسيطة، ويعرض نفسه للعمل بأي شيء، ورغم أن المحاولات في اليوم الأول كانت خجولة ولم تؤتِ ثمارها، إلا أن آدم لم يفقد الأمل، همس لنفسه مجددًا بكلمات والدته: "أنت الأمل الوحيد للعائلة، لا مجال للاستسلام.

في اليوم الثاني، وبعد عناء البحث والتجول، وجد آدم عملاً في أحد مواقع البناء، كانت المهمة شاقة، تستغرق 12 ساعة من العمل المتواصل، ومع ذلك، شعر بشيء من الارتياح؛ فقد وجد أخيرًا طريقة لكسب القليل من المال يساعده في بداية رحلته.

قرر أن يستغل هذا الأسبوع، قبل بدء الدراسة في الجامعة، ليعمل بأقصى طاقته ويجمع ما يستطيع من المال، فقد كان يعلم أن هذا العمل ليس مناسبًا بجانب الدراسة، لكن لا خيار آخر لديه الآن، رأى في هذا الحل المؤقت مخرجًا يساعده على مواجهة تكاليف الحياة ويمنحه بعض الوقت ليبحث عن عمل آخر يناسب ظروفه الجامعية.

ومع كل تحدٍ يواجهه، كان يجد في تعبه دافعًا أكبر، فقد أصبح هدفه ليس فقط النجاح، بل أن يُثبت لنفسه ولعائلته أنه قادر على تحمل المسؤولية وكسر لعنة الفقر التي عانت منها أسرته طويلًا.

كل صباح، كان يستيقظ قبل الفجر، ويذهب إلى موقع البناء حيث يلتقي بالعمال الآخرين، ورغم اختلاف اللغة، كان يحاول فهم التعليمات بالنظر وتقليد حركات زملائه، شعر بالتعب يسري في جسده، لكن عزيمته بقيت صامدة، تذكر وعده لوالدته، وتكررت كلماتها في ذهنه كصوت يوجهه: "لا تعُد كما ذهبت، أنت أملنا الوحيد".

بعد أسبوع من العمل في البناء، كسب آدم بعض المال الذي اعتقد في البداية أنه سيكون كافيًا، لكنه سرعان ما اكتشف في أول أيام الجامعة أن هذا المبلغ لا يكفي سوى لشراء الكتب، شعر بثقل الواقع يهبط عليه، لكنه لم يسمح للإحباط أن يتسلل إلى خفقات قلبه؛ بل رسم ابتسامة حزينة على وجهه وقال لنفسه: "سأجد طريقة، سأبحث عن عمل.. عن أي عمل".

كان من بين الطلاب العرب صديقا لاحظ معاناة آدم، فاقترب منه ونصحه قائلًا: مطعم "كوخنا"، مطعم عربي قريب من هنا، يبحث عن عامل في المطبخ، لن تحتاج لإتقان اللغة الروسية، فقط القليل من العمل البدني، ويبدو أن الدوام يناسبك؛ من الرابعة عصرًا حتى الثانية صباحًا، يمكن لهذا العمل وموعده أن يتماشى مع محاضراتك الجامعية".

شعر آدم ببصيص من الأمل مجددًا، فكر في هذا العرض، ورغم أنه سيكون شاقًا، خاصة مع ساعات العمل الطويلة، إلا أن ذلك قد يكون فرصته لتغطية مصاريفه الدراسية

والمعيشية، شكر صديقه على النصيحة وقرر أن يتوجه إلى المطعم في اليوم التالي، عازمًا على قبول أي وظيفة يمكن أن تساعده في المضي قدمًا نحو تحقيق حلمه.

وبالفعل، انطلق آدم إلى المطعم في اليوم التالي بحماس وتوتر في آنٍ واحد، قابل مدير المطعم الذي عرض عليه وظيفة العمل كعامل في المطبخ، فوافق على هذه الوظيفة دون تردد، بدأ العمل في اليوم نفسه، دون أن يمنح نفسه وقتًا للتفكير أو التردد، شعر أن الالتزامات التي تراكمت على عاتقه قد غيرته، فالشاب الحالم الذي غادر وطنه يحمل عبء عائلته، بات الآن شابًا يعرف أن عليه مواجهة هذه التحديات دون تراجع.

بعد ساعات من العمل الشاق والمستمر، بدأ التعب ينهش جسده، وشعر بثقل المهمة التي اختارها، كانت يديه تؤلمانه من حمل الصحون الثقيلة، ورائحة الطعام والمطبخ تملأ المكان، لكن خيبة الأمل كانت الأثقل، تساءل للحظة إن كان هذا الطريق يستحق كل هذا العناء.

ثم تذكر كلمات والدته، تلك الكلمات التي أصبحت شعاره في مواجهة الحياة: "لا تعد قبل أن تكسر لعنة الفقر، أنت الأمل الوحيد، والاستسلام غير مطروح على الطاولة"، كان لهذه الكلمات وقع السحر عليه، فهي توقظه كلما كاد يسقط، شدّ

قبضته، وعقد العزم على الاستمرار، متذكرًا أنه مهما كان هذا العمل مرهقًا، فهو خطوة نحو تحقيق الحلم الأكبر.

كان آدم يعود إلى السكن الجامعي بعد منتصف الليل، منهكًا بعد ساعات طويلة من العمل، ويمشي بصمت تحت وطأة برد سانت بطرسبرغ القاسي، يصل إلى غرفته مرتجفًا، يستحم سريعًا، يتناول أي شيء يسد جوعه، ثم يجلس ليذاكر ساعة على الأقل، حتى وإن كانت عيناه تكادان تغلقان من التعب، كان يعرف أن الوقت المتاح للدراسة قليل، فكان يركز بكل طاقته ليحقق أكبر استفادة.

مع كل ليلة تمر، باتت ساعات نومه تقل، وأصبح يعتاد على النوم أربع أو خمس ساعات فقط، ورغم الإرهاق الذي كان يحمله معه إلى اليوم التالي، لم يشتكِ؛ فقد تقبّل هذه الحياة كجزء من الرحلة، كان يردد في داخله، وكأنها طمأنينة يمدّ بها روحه: "هذه الحياة هي السبيل الوحيد... أنا أمل عائلتي الوحيد، ولا مجال للتراجع".

ومع كل تحدٍ يواجهه، كان يجد في تعبه دافعًا أكبر، فقد أصبح هدفه ليس فقط النجاح، بل أن يُثبت لنفسه ولعائلته أنه قادر على تحمل المسؤولية وكسر لعنة الفقر التي عانت منها أسرته طويلًا .

في وسط ضغط الدراسة والمحاضرات المتتالية والعمل الشاق في المساء، كانت أيام آدم تمر ثقيلة ومرهقة، كان يركض من قاعة المحاضرات إلى العمل في المطعم، ويوازن بصعوبة بين الدروس والعمل وحاجته للنوم، شعور الإرهاق بات ملازماً له، لكنه كان يحاول ألا يُظهر ضعفه أو تعبَه أمام أحد.

وفي إحدى الليالي، بينما كان يجلس متعبًا بعد يوم طويل، تلقى اتصالًا من والدته، كان صوتها حنونًا وهادئًا، يحمل دفء الوطن الذي يفتقده، سألت عن أحواله، محاوِلةً أن تطمئن عليه، لكنها أيضًا ذكّرته بكلماتها التي لم تكف عن ترديدها منذ سفره: "تذكّر يا بني، أنت أملنا الوحيد، لا تُخيّب ظننا".

شعر آدم بضغط الكلمات يتضاعف على كاهله، ولكنه أيضًا وجد فيها قوة تدفعه للمضي قدماً، رغم التعب والضغوط، لم يكن أمامه خيار سوى الصمود، كان يعلم أن عائلته، التي قدمت كل ما لديها من أجله، تعوّل عليه ليحقق لهم حلمًا طال انتظاره، همس لنفسه بعد انتهاء المكالمة، كأنه عهد جديد يقطعه على نفسه: "سأواصل، مهما كانت الصعوبات، لن أعود كما أتيت".

بعد شهر من وصوله إلى سانت بطرسبرغ، بدأ آدم يعتاد على ضغط العمل والدراسة، لكن الإرهاق اليومي كان لا يزال ثقيلاً، ومع إدراكه أن وقته لم يكن كافيًا للتحصيل الدراسي،

قرر الذهاب إلى أحد أساتذته الجامعيين ليطلب تخفيف بعض المحاضرات حتى يتمكن من الدراسة بشكل أكثر فعالية.

استمع الدكتور إلى قصته وأبدى تفهماً لحالته، ثم قال له بابتسامة مشجعة: "يمكنك تعويض الدراسة هنا في مكتبة الجامعة؛ أعلم أن أجواء السكن الجامعي قد تكون صاخبة وغير مناسبة للمذاكرة"، شعر آدم بشيء من الراحة، وابتسم وردد في نفسه: "أعيش هناك ولا أعيش، أعود للسكن فقط للنوم، وأغادر في الصباح الباكر، حتى أني بالكاد أعرف من يشاركني السكن، فأنا لا أراهم فعليا".

كانت الحياة اليومية لأدم تدور في حلقة متواصلة من الجامعة إلى العمل، ومن العمل إلى السكن للنوم بضع ساعات قبل أن يبدأ يومه من جديد، ومع ذلك، كان يشعر بشيء من الرضا، فهو يعلم أن هذه التضحيات تقرّبه من هدفه، ويجد في كل خطوة صعبة يخطوها تعزيزًا لإرادته وعزيمته.

كان آدم يحاول التأقلم مع كل شيء؛ الالتزام بمواعيد المحاضرات الدراسية الصارمة، والعمل الشاق الذي اضطر للقيام به مساءً في مطعم صغير ليغطي تكاليف معيشته، كانت حياته سلسلة من المهام والضغوطات المتلاحقة، يشعر كأنه يجري في دوامة بلا نهاية، حيث بالكاد يلتقط أنفاسه.

في إحدى الليالي، بعد يوم طويل مرهق، جلس آدم على طرف سريره في الغرفة الضيقة، ناظرًا إلى السقف لأول مرة، شعر بثقلٍ هائل يجثم على قلبه، تهاوت أحلامه أمامه كحطام قديم، وأصبح يتساءل: هل هذه هي الحياة التي كنت أحلم بها؟ أي قيمة لهذا السعي الدؤوب إن كان يبعدني عن ذاتي ويجعلني أشعر بالوحدة، والاغتراب حتى عن نفسي؟

بينما كان غارقًا في أفكاره، تذكر كلمات والده قبل سفره: "ستواجه أشياء لم تتخيلها، لا تدع شيئًا يطفئ نورك"، كانت تلك الكلمات تعود إليه كلما أظلمت الدنيا حوله، كأنها همسة من الماضي تذكّره بأن ثمة شيئًا ثمينًا لا ينبغي أن يخسره، وهو إيمانه بنفسه.

يستيقظ آدم كل صباح على صوت منبهه البسيط، بالكاد يفتح عينيه من شدة التعب المتراكم، ينظر إلى الساعة ويعرف أنه يجب أن يتحرك بسرعة كي لا يتأخر على محاضراته، يغسل وجهه بالماء البارد في محاولة لإيقاظ نفسه، ويمشي بخطوات ثقيلة نحو الجامعة، حيث ينتظره يوم طويل من المحاضرات والدراسة.

بعد انتهاء محاضراته، يلتقط آدم أنفاسه بسرعة ثم يستعد للذهاب إلى عمله في مطعم صغير في ضواحي سانت بطرسبورغ، الطريق إلى المطعم شاق وطويل، وغالباً ما يضطر لركوب حافلتين وقطار للوصول، يصل إلى المطعم

وعيناه تكاد تنغلقان من الإرهاق، ولكنه يعلم أن عليه المثابرة، العمل في المطعم ليس سهلاً؛ يتطلب منه الوقوف لساعات طويلة، وتقديم الطلبات للزبائن، بالإضافة إلى تنظيف المكان بعد انتهاء العمل.

طوال يومه، يحس آدم بالتعب يثقل كاهله، ولكن في هذه الليلة تحديداً يشعر بنوع من الراحة والرضا رغم التعب؛ لأنه يعرف أنه سيقوم بتحويل أول مبلغ من مدخراته إلى والدته، بعد انتهاء يومه الطويل في العمل، يعود إلى مسكنه متعباً، ليقوم بالتحويل المالي، يعرف أن هذا المبلغ، رغم صغره، سيخفف من معاناة عائلته ويمنحهم شعوراً بالأمان، ويتذكر كلمات والدته: "أنت الأمل الوحيد لكسر لعنة الفقر، لا تعد كما غادرت".

بعد أن قام آدم بتعديل جدول محاضراته، أصبح يقضي ثلاث ساعات في مكتبة الجامعة، حيث الهدوء يساعده على التركيز وتكريس وقته لتحقيق هدفه، في أحد الأيام، بينما كان يجلس في زاوية هادئة يقرأ كتاباً عن التاريخ، لاحظ فتاة تجلس على طاولة قريبة منه، ترتدي حجاباً أبيض وعيناها غارقتان في كتاب بين يديها.

لفتت انتباهه ملامحها العربية الواضحة، شعر بشيء من الدفء والألفة لرؤية شخص من ثقافته، وبينما كان يتردد بين الحديث معها أو مواصلة دراسته، تبادلت هي النظر معه

للحظات عابرة، ثم ابتسمت بتردد، أخذ آدم الشجاعة للاقتراب منها وقال بابتسامة هادئة: "هل تحتاجين مساعدة في شيء؟"

ردت الفتاة بلهجة عربية، كانت خفيفة تحمل آثار المغتربين: "في الواقع، أنا كنت أحاول فهم هذا النص الأدبي الروسي، وأجد صعوبة في بعض التعابير" هنا، جلس آدم في المقعد المقابل لها، وتبادلا الحديث عن الأدب واللغة وعن تجاربهما في الغربة، شعر آدم بشيء من الراحة، وكأنّ لقاءه بها قد خفف قليلاً من عبء العزلة التي يشعر بها في سانت بطرسبورغ.

جلس آدم بالقرب منها، محاولاً الحفاظ على هدوئه، رغم أن قلبه ينبض بسرعة، كان يراقب تعابير وجهها وهي تقلب صفحات الكتاب بتركيز شديد، سألها بلطف: "ماذا تدرسين؟" رفعت رأسها ونظرت إليه بعينيها العميقتين وقالت بابتسامة خجولة: "أدرس الأدب الروسي، أحياناً أشعر أنه يزداد تعقيداً كلما تقدمت في الدراسة".

ابتسم آدم وأجاب: "أشعر بنفس الشيء، أدرس هنا منذ شهرين، وما زلت أواجه صعوبة أيضا"، بدت علامات الدهشة على وجهها وقالت: "أنت أيضاً؟ ظننت أنني الوحيدة التي تواجه هذه المعاناة!"

ضحك آدم بلطف، وقال: "نحن نتشارك في نفس المعاناة إذن، الغربة تجعل كل شيء يبدو أصعب، لكنني وجدت أن اللغة تحمل جزءاً من جمال الحياة هنا، رغم صعوبتها".

كانت تنظر إليه باهتمام، وكأن كلماته قد لامست شغاف قلبها، ثم قالت بتردد: "الغربة بالفعل ليست سهلة، ولكنني أجد بعض الراحة هنا بين الكتب"، كانت كلماتها تحمل حزناً خفياً، كأنها تروي قصة لا تعرف إن كانت تود الإفصاح عنها.

شعر آدم برغبة في معرفة المزيد عنها، فسألها بلطف: "أنا آسف إن كنت أتطفل، لكن كيف وصلتِ إلى هنا؟ هل كان ذلك بدافع الدراسة أم هناك سبب آخر"؟

ترددت قليلاً، ثم تنهدت وقالت: "والدي كان يحلم بأن أتعلم في الخارج، أن أعيش تجربة مختلفة وأصبح فخراً له، ربما لهذا السبب اخترت الأدب الروسي، رغم غرابته علينا"، شعرت بشيء من الحزن، وواصلت قائلة: "ولكنني أحياناً أتساءل، هل كان هذا خياري أم حلم والدي"؟

شعر آدم بقربها إليه من هذه الكلمات، وكأنها تعبر عن جزء من مشاعره هو الآخر، قال لها بصوت هادئ: "أعرف هذا الشعور جيداً، نحن نحمل أحلام من سبقونا، ولكننا نحاول أن نجد طريقنا الخاص في هذه الحياة، ربما ننجح في أن نجعل أحلامهم جزءاً من أحلامنا".

ساد الصمت بينهما للحظات، ولكن لم يكن صمتاً بارداً، بل كان صمتاً يحمل مزيجاً من الفهم العميق والشعور بالراحة، شعر كلاهما أن الحديث قد فتح باباً جديداً، وأن هذه اللحظة ليست مجرد لقاء عابر، بل بداية لشيء جديد قد يجمعهما وسط هذا الاغتراب.

نهض آدم بلطف وأغلق كتابه، ثم نظر إلى الفتاة بابتسامة امتنان وقال: "كان حديثاً جميلاً، شعرتُ وكأنني وجدت صديقاً في هذه المدينة الغريبة. ولكن للأسف، يجب أن أذهب الآن، لدي عمل في مطعم خارج المدينة".

ابتسمت الفتاة وأجابته بتفهم: "أتمنى لك يوماً موفقاً في عملك، وآمل أن نلتقي مرة أخرى".

خرج آدم من المكتبة، وما أن بدأ بالمشي في الطريق حتى طغت صورة الفتاة على ذهنه، كانت كلماتها الهادئة وملامحها البسيطة ترافقه، وكأنه يحمل جزءاً منها معه، تساءل وهو يمشي بين الطرقات عن حياتها وكيف تواجه الغربة هنا، شعوراً كان قد أخفاه في داخله طوال الوقت، لكنه شعر أنهما يتشاركانه.

بعد أن وصل إلى محطة الحافلات، استقل حافلته التي تأخذه في رحلة طويلة إلى ضواحي سانت بطرسبورغ؛ حيث يقع المطعم، نظر من نافذة الحافلة إلى مشهد المدينة الباردة،

ورغم التعب الذي ينتظره، شعر بدفء لم يكن معتاداً عليه، وكأن ذكرى لقائهما تمنحه طاقة جديدة.

بمجرد وصوله إلى المطعم، لبس زيه المخصص للعمل وربط مئزره، أخذ مكانه خلف المنضدة، وبدأ بتحضير الطلبات، يقطع الخضروات ويقلب المكونات في المقلاة بسرعة وحرفية، العمل كان شاقاً، وخاصةً في المساء حين يزدحم المطعم بالزبائن، كان يتنقل بين الطاولات، يلتقط الطلبات، ويقدم الأطباق بابتسامة متعبة، ولكنه كان يملك هدفاً يعينه على التحمل.

كلما سنحت له لحظة لالتقاط أنفاسه، كان يفكر بتلك المحادثة البسيطة التي جرت بينه وبين الفتاة في المكتبة، ويشعر أن اللقاء بها أضاف شيئاً مختلفاً إلى يومه، شيئاً يجعله يتحمل مشقة العمل بشكل أقل ثقلاً، دفعته ذكرى ابتسامتها واهتمامها بكلماته إلى الإصرار على الصبر، فهو يعلم أن كل ساعة يقضيها في هذا المطعم تقرّبه من حلمه وحلم عائلته.

في اليوم التالي، وبعد انتهاء محاضراته، توجه آدم إلى المكتبة كما اعتاد، كان يشعر بشيء من الحماس المختلط بالقلق، ذلك الشعور الخفي الذي ينبض في داخله، وكأنه ينتظر شيئاً جديداً أو ربما شخصاً معيناً، جلس في ذات الطاولة الهادئة التي جمعت بينهما في المرة السابقة، وأخذ يراقب المدخل دون أن

يدري، متسائلاً: "كيف لم أسألها عن اسمها؟" بدا له الأمر غريباً، كيف شعر بهذا القرب دون أن يعرف حتى اسمها؟

مرت ساعة، وهو يقرأ صفحاتٍ لا يذكر منها شيئاً، متظاهراً بالتركيز، وأخيراً، لمحها وهي تدخل المكتبة، ترتدي معطفاً شتوياً ثقيلاً وقد تناثر على أطرافه ثلج ناعم، في مشهد بدا كلوحةٍ شتوية خالصة، خطت بخطوات رشيقة، وعيناها تبحثان عن مكانٍ شاغر كعادتها.

في طريقها إلى طاولتها، توقفت لتلقي التحية على فتاة تجلس قرب المدخل، فتبادلت معها ابتسامة دافئة، ثم سمعها تناديها: "ياسمين" تسلل اسمها إلى مسامع آدم وكأنه اكتشف سراً عظيماً، فابتسم بلا وعي، "ياسمين"، ترددت الكلمة في ذهنه، وكأنها تركت أثراً أعمق مما توقع.

تابعها بنظره حتى جلست على طاولتها، وأخذ يراقبها للحظات، محاولاً أن يجمع شتات أفكاره قبل أن يتقدم إليها.

ظل آدم جالساً في مكانه، متردداً للحظات، يحاول جمع شتات شجاعته للحديث معها مرة أخرى، كانت ياسمين منشغلة بترتيب كتبها، وحين رفعت رأسها، التقت عيناهما للحظات، وابتسمت تلك الابتسامة الهادئة التي تحمل دفئاً خاصاً في هذا البرد القارس.

اقترب منها آدم بهدوء وقال بابتسامة خجولة: "مرحباً، ياسمين، صحيح؟" بدا الاسم مألوفاً على لسانه، وكأنه يعرفه منذ زمن طويل، نظرت إليه بدهشة طفيفة قبل أن تجيب: "نعم، وكيف عرفت اسمي"؟ شعر بشيء من الإحراج ولكنه ضحك بخفة وقال: "سمعته بالصدفة عندما ألقيت التحية على صديقتك".

ضحكت ياسمين، وقالت بلطف: "يبدو أنك تجيد الاستماع" رد آدم، وهو يحاول إخفاء توتره: "قد يكون فضولاً، أو ربما أنني شعرت برغبة في التعرف إليك أكثر"، كانت كلماته تحمل شيئاً من الجرأة، لكنها جاءت صادقة.

دعته للجلوس، فتردد قليلاً قبل أن يجلس على المقعد المقابل، وبينما كانت تقلب صفحات كتابها، سألها آدم: "لماذا اخترت الأدب الروسي؟ أجد أن اختياره غريب نوعاً ما" نظرت ياسمين إلى الكتاب، ثم قالت بتأمل: "ربما لأنني أبحث عن شيء يعيد لي الإحساس بالعمق.. الأدب الروسي قاسٍ وجميل في الوقت نفسه، مثل الحياة".

كلماتها كانت تمس شيئاً بداخله، وكأنها تعبر عما لا يستطيع قوله، شعر بأنهما يتشاركان لغة خفية، لغة التجارب والأحلام، رغم بساطة حديثهما، ثم سألته بصوت دافئ: "وأنت، ما الذي جاء بك إلى هنا"؟

تنهد آدم وقال: "جئت لأكمل دراستي وأحمل حلم عائلتي معي، والدي باع آخر قطعة أرض نملكها لأكون هنا، ووالدتي كانت دائماً تذكرني أنني الأمل الوحيد لكسر لعنة الفقر"، ساد الصمت للحظات، وكانت ياسمين تنظر إليه بعيون مملوءة بتعاطف خفي، كأنها تشاركه عبء كلماته.

همست ياسمين: "لابد أن الأمر صعب عليك".

ابتسم آدم قائلاً: "أحياناً يكون كذلك، وأحياناً أشعر أن هذا الحلم هو ما يبقيني واقفاً".

ساد صمت عميق بينهما، ليس صمتاً بارداً، بل صمتاً مليئاً بالمشاعر غير المنطوقة، وكأن كلاً منهما قد وجد في الآخر انعكاساً لشيء ما.

تأمل آدم تفاصيل المكتبة الهادئة حوله: الأرفف المليئة بالكتب، الأضواء الخافتة، وطاولات الدراسة المرتبة بعناية، حيث يجلس الطلبة يذاكرون في صمت، كانت نافذة كبيرة تطل على الخارج، حيث تتساقط الثلوج برفق، مضيفة للمكان جوّاً من العزلة الدافئة.

قطعت ياسمين الصمت بقولها: "أنت هنا منذ شهرين فقط، لكنك تتكلم الروسية بشكل جيد، كيف تعلمتها بهذه السرعة"؟ نظرت إليه بفضول حقيقي، بينما رفع رأسه نحوها بابتسامة

بسيطة، وقال: "بدأت العمل هنا منذ اليوم الأول لوصولي، لم يكن لدي خيار، فكان عليّ أن أندمج بسرعة وأتعلم اللغة".

أومأت ياسمين بتفهم، وعيناها تتأمل ملامحه بعمق، بينما واصل قائلاً بصوت خافت: "أنا هنا أمل عائلتي الوحيد، لدي هدف لا يمكنني التخلي عنه مهما كانت الصعوبات، يجب أن أدرس وأعمل في الوقت نفسه، لتغطية مصاريف الجامعة ونفقاتي الشخصية، وأساعد عائلتي في بلدي أيضاً، والدي دفع رسوم السنة الأولى، وبعد ذلك أنا وحدي، حتى إنني تحملت تكاليف الكتب والسكن هنا".

بدت كلمات آدم ثقيلة، لكنها مليئة بالإصرار، شعرت ياسمين بصدق مشاعره وواقعية موقفه، وكأنها تشاهد انعكاساً لحلم آخر، حملته هي أيضاً لكنها لم تجهر به، تمعنت في وجهه، وقالت بنبرة متعاطفة: "الحياة هنا صعبة، وأنا أعلم أن الغربة تضيف حملاً إضافياً، لكنني أرى فيك شيئاً مختلفاً، شيئاً لا أجده عند الكثيرين".

شعر آدم بارتباك بسيط، لكنه أخفى ذلك بابتسامة خفيفة وقال: "الظروف هي التي تصنع منا ما نحن عليه، ربما لو كنت في مكان آخر، لكنت شخصاً آخر".

أحست ياسمين بشيء يتغلغل إلى أعماقها، ليس فقط إعجاباً بشخصه، بل بشيء أعمق، بفكرة الإصرار والصمود التي

يحملها، بدأت تفكر في أنه ليس مجرد زميل دراسي، بل ربما شخص يجسد شيئاً تفتقده هي في حياتها، شخصاً يعيش من أجل هدف وغاية واضحة، وصورة لعائلة تنظر إليه كأمل وحيد.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: "أعتقد أنني وجدت فيك صديقاً مختلفاً.. شخصاً يشبهني بطريقة أو بأخرى".

بعد أن ساد الصمت بينهما لوهلة، نهض آدم من مقعده بهدوء، وجمع كتبه، ونظر إلى ياسمين بابتسامة هادئة، كانت تحمل في طياتها خليطاً من الحزن والعرفان، وقال: "يجب أن أذهب الآن إلى عملي، شكراً لكِ على هذا الحديث الجميل، ياسمين"، كانت كلماته بسيطة، لكنها خرجت من قلبه، حقيقية تماماً كأنفاسه، كأنه أراد أن يخبرها بشيء أعمق مما تستطيع الكلمات التعبير عنه.

راقبته ياسمين وهو يغادر، كانت عيناها تتبعه حتى اختفى بين أروقة المكتبة، شعرت وكأن جزءاً من دفء المكان قد تلاشى بغيابه، وكأن الصمت قد أصبح ثقيلاً فجأة، يحمل بين طياته أثراً من كلمات آدم ونظراته، كان لحديثه وقعٌ عميق بداخلها، جعلها تشعر بأنها ليست وحدها في هذه الغربة، وأن هناك من يحمل أحلاماً أثقل من أن تبوح بها الرياح.

عندما غادر من الباب، وجدت نفسها تغرق في التفكير بكل حرف قاله، بدا وكأنه يحمل على كتفيه حِملاً لا يُطاق، يواجه تحديات لم تشأ أن تُخفي إعجابها بصبره عليها، شعرت أن آدم ليس مجرد زميل جامعي، بل شيء آخر، مختلفٌ، يتنقل بين الواقع والحلم، يحمل في روحه تفاصيل حياة لا تشبه أحداً، لكنها تتلامس معها بشكل أو بآخر.

أدركت في لحظة أن آدم ليس فقط طالباً مجتهداً، بل هو تجسيد لشيء عميق، لحلمٍ يمتد خارج حدود المكتبة وأسوار الجامعة، حلم أبعد من الكتب وأعمق من الغربة، بدأ قلبها ينبض بشعور لم تختبره من قبل، مزيج من التعاطف والإعجاب، وربما شيء أكبر، لم تجرؤ على تسميته.

بينما كان آدم يسير في الطريق نحو عمله في ضواحي المدينة، كانت أفكاره تفيض بتفاصيل اللقاء، شعر بشيء من الراحة، وكأن حديثه معها قد أزاح عن كاهله جزءاً من العبء الذي يحمله منذ وصوله، كان الشتاء بارداً، والثلج يتساقط خفيفاً، لكنه شعر بحرارة غريبة تملأ قلبه، كان لقاؤه بياسمين قد أيقظ شيئاً دفيناً داخله، شيئاً لم يكن يجرؤ على التفكير فيه وسط سباقه اليومي بين المحاضرات والعمل.

حين وصل إلى المطعم، لبس مئزره وبدأ يومه في العمل، يقلب الطعام على الموقد ويقوم بتقديم الطلبات للزبائن بابتسامة متعبة، لكن داخله كان ينبض بشيء مختلف، حتى في ضجيج

المطعم وصخب الأصوات حوله، كانت ذكريات كلمات ياسمين تلوح في ذهنه، نظراتها الهادئة التي حكت عن ألم مشابه، واهتمامها الصادق الذي جعله يشعر بأن أحداً يستمع إليه بصدق لأول مرة.

على الطرف الآخر، كانت ياسمين تعود إلى غرفتها، وأفكارها لا تزال مليئة بصورته، بكلماته التي كانت تتردد في أذنيها وكأنها لحن حزين لا يكتمل، لم تكن تعرف كيف تصف ما شعرت به؛ كان آدم صديقاً مختلفاً، شخصاً يعبر في حياتها لوهلة، لكنه كان يترك أثراً أعمق مما توقعت.

بعد انتهاء نوبته في المطعم، خرج آدم منهكاً، يحمل كيساً صغيراً يحتوي على النقود التي طلبها كسلفة من راتبه، وقف في زاوية الشارع تحت ضوء مصباحٍ شاحب، ناظراً إلى الأوراق النقدية بين يديه، كان الشعور بالفرح الطفيف يراوده للحظة؛ أخيراً، يستطيع التفكير في شراء حاسوبٍ محمول، شيء يعتبره بسيطاً وضرورياً كطالب جامعي، حلم امتلاكه كان يراوده منذ قدومه إلى المدينة، خاصةً مع ساعات الدراسة الطويلة التي يحتاج فيها لمصدرٍ يساعده في الوصول إلى المعلومات والمراجع بيسر.

لكن، وفي اللحظة نفسها، استيقظ فيه صوتٌ آخر، صوت الواقع القاسي الذي لا يفارقه، أخذ نفساً عميقاً ونظر مرة أخرى إلى النقود، قبل أن يتنهّد قائلاً لنفسه بصوت منخفض:

"لا أستطيع الآن، عائلتي تحتاج إلى المال.. تكاليف حياتي هنا تتراكم، هذا الحلم البسيط يبدو أبعد من متناول يدي، ربما بعد عدة أشهر أو حتى بعد عام".

شعر بوزنٍ ثقيل يسكن صدره، كأن الحلم بالراحة الصغيرة أصبح رفاهيةً لا يستطيع امتلاكها، رغم كل الساعات التي يقضيها في العمل والدراسة، كان دائمًا يعود إلى هذه اللحظة؛ لحظة التضحية المتجددة، حيث يضع أحلامه الشخصية جانباً، ليواصل رحلة عائلته التي تنتظره كأملها الوحيد، بدا له الأمر كتناقضٍ مرير: هو الذي جاء إلى هذه المدينة طامحاً بتحقيق أحلامه، يجد نفسه عالقاً بين واجب التضحية وأمل التقدّم.

وقف متجمداً، محدقاً إلى الشارع الفارغ، ثم تذكر فجأة ابتسامة ياسمين، صوتها الهادئ، ونظرتها التي لا تحمل الحكم بل تفهماً عميقاً لم يعهده في أحد من قبل، كان لقاؤه بها أشبه بملاذٍ في وسط هذا الصخب الذي يعيش فيه، أشبه بلمسة من الحنان تذكره بأن هناك من يمكنه أن يفهم ما يحمله في قلبه، بدأ يفكر بها كصديقة، أو ربما كشيء أعمق، لا يزال يجهل كنهه.

تملّكه شعور بالحنين إلى حديثهما، إلى نظراتها التي لم تخجل من مواجهة ضعفه وحزنه، تساءل بينه وبين نفسه، هل ستكون هذه المدينة مجرد محطة عابرة، أم سيأتي يومٌ يروي لها كل أحلامه وأعباءه، لتكون جزءاً من قصته؟

عاد ليحدق في النقود مجدداً، وأعادها إلى جيبه بإحساسٍ ممزوج بالرضا والحزن، عرف أن عليه الانتظار، أن يؤجل حلمه الصغير لمصلحة شيء أكبر، ولكنه شعر، لأول مرة منذ زمن طويل، بأنه ليس وحده.

وصل آدم إلى سكنه، عائداً من عمل يومٍ طويلٍ شاق، جلس على طرف سريره البارد، وأطلق نظراته الشاردة في فضاء الغرفة، بدأت الأفكار تتسرب إلى عقله، تاركةً دفء ذكريات عائلته يسيطر على حواسه، تذكر حياته البسيطة، تفاصيل منزلهم القديم الذي رغم قدمه كان ينبض بالحياة، كأنه كائن حي يحتضن تلك العائلة الصغيرة، في تلك اللحظات، شعر وكأن صوت أمه يلامس مسامعه برقة، ذلك الصوت الذي طالما منحه السكينة، وهدوء الأمان.

تخيل المشهد من جديد؛ والدته تجلس في زاوية المطبخ الصغير، تحرص على إعداد كل ما يلزم بأدق التفاصيل، تُعد لهم الطعام بيدٍ حانية، وتتحقق من الماء، وتنظف بمهارة، وتجعل من ذلك المكان البسيط مأوىً دافئاً يفيض حباً، تذكر كيف كانت ترتب المنزل على الرغم من قدمه، وتجعل منه مكاناً مريحاً يملؤه العطر والدفء.

ثم عاد بذاكرته إلى لحظات جمعتهم جميعاً، والده بضحكته العريضة، وأخته الصغيرة تلهو في أرجاء الغرفة، وأخوه الذي يملأ المكان حياةً وحيوية، كل لحظة معهم كانت مليئة

بالألفة، لم يعرف كم كانت تلك التفاصيل ثمينة إلا حينما وجد نفسه وحيداً هنا، مضطراً للقيام بكل تلك الأمور بنفسه، الآن، صار هو من يطبخ ويغسل وينظف، ولم يكن الأمر بالسلاسة التي اعتادها في دفء عائلته.

لأول مرة، شعر بقيمة تلك اللحظات، وفهم حقيقة أن ما كان يراه من تعب والدته هو الحب بأعمق معانيه، الحب الذي يُنسج من بساطة الأشياء الصغيرة.

كانت الفكرة تراوده، كيف كان يظن في البداية أن السفر للدراسة في الخارج سيكون حلماً جميلاً، مليئاً بالتجارب المثيرة، ولكن الواقع جاء مختلفاً، هنا؛ حيث الغربة والبعد، اكتشف معنى المسؤولية، معنى أن يكون هو الأمل الوحيد لأسرته، المسؤولية التي تثقل قلبه رغم طموحه الكبير.

أخذ نفساً عميقاً، وواصل التفكير بعمق حتى أغرقه التعب، وغطّ في نومٍ عميق، في صباح اليوم التالي، استفاق آدم على صوت المنبه الذي كان يرن بشدة في تلك الغرفة الباردة التي اكتنفها الضباب الخارج من نافذته، معلناً بداية يوم آخر، كما جرت عادته اليومية، نهض بسرعة، مرتديًا معطفه الثقيل، وخرج إلى الشوارع المزدحمة، متوجهاً إلى الجامعة ثم إلى عمله، لكن هناك شيئًا مختلفًا في هذا اليوم، فقد كانت الرياح القارسة التي تهب من بحر البلطيق تعصف به، وكأنها تخترق عظامه، مما جعله يشعر بصداع مفاجئ في رأسه وبرودة

شديدة تسرّبت إلى جسده، لم يكن يشعر بأفضل حال، ولكنه كان يصر على المضي في يومه كالمعتاد.

ومع ذلك، لم تفارق صور ياسمين ذهنه، اليوم، ولأول مرة، لم يذهب إلى المكتبة، كان المكان الذي يجتمع فيه مع نفسه ومعها، حيث يذاكر ويحلم في وقت واحد، لكنه شعر بعجز غريب، وكأن العالم حوله يعاقبه على عدم الوفاء بهذا الموعد الذي أصبح جزءًا من روتينه.

أما ياسمين، فقد كان غياب آدم عن المكتبة أمرًا غريبًا بالنسبة لها، لطالما كان يجلس هناك، بين الرفوف والكتب، يركز في دراسته كما لو كانت حياته كلها، انتابها شعور غير مريح عندما لم تجده في مكانه المعتاد.

لماذا لم يأتِ اليوم؟ هل هو بخير؟ تساءلت في نفسها، مشاعر القلق تتسلل إليها من دون إرادة، وكأن هناك شيئًا مفقودًا، شعور غير محدد يجعلها تشعر أن هذا اليوم ليس ككل الأيام.

بعد يوم طويل، عاد آدم إلى سكنه الصغير في حي سانت بطرسبرغ البارد، حيث كانت الرياح القارسة تضرب النوافذ وكأنها تحاول اقتحام المكان، كانت الأرضية الصلبة تحت قدميه تشعره بثقل خطواته، وكأن كل خطوة تأخذه بعيدًا عن نفسه، شعر بجفونه المثقلة، وعينيه اللتين بدأت تؤلمه، وكان جسده مرهقًا، يعاني من تلك البرودة التي اختلجت في عروقه

وجعلت كل شيء حوله يبدو ضبابيًا، حتى عقله أصبح مشوشًا.

عندما أغلق الباب خلفه، كانت العزلة تلتصق به كظل لا يفارقه، كان السكون ثقيلًا في ذلك المكان الضيق، الذي لم يعد يعكس سوى وحدة داخلية عميقة، جعلته يكتشف كم هو وحيد رغم محيطه المزدحم، ألقى معطفه على السرير بتكاسل، ثم تهاوى إلى المقعد بجانب النافذة التي كانت تغطيها طبقة خفيفة من الضباب، تنفس بصوت عميق، لكنه شعر بشيء من الحزن يتسلل إلى صدره مع كل نفس. كانت تلك اللحظات، بعد عودته من يوم مليء بالزحام والتوتر، فرصة ليغرق في أفكاره.

ولكنه لم يستطع الهروب من صورة ياسمين، التي كانت تتنقل في ذهنه بكل تفاصيلها: عيونها التي تنطق بالحكمة والجمال، ابتسامتها التي كانت دائمًا تمنحه شعورًا بالراحة رغم قسوة الواقع، وطريقتها في الحديث التي تحمل نغمة تثير في قلبه شيئًا من الأمل وسط كل تلك الوحدة التي يشعر بها.

في اليوم التالي، اشتد المرض على آدم بشكل مفاجئ، استفاق في الصباح على ألم حاد في رأسه، وجسده المثقل بالحرارة والبرد في آن واحد، كانت أطرافه ترتجف من شدة البرد، لكن لم يكن هذا هو أكثر ما أزعجه، فقد كانت فكرة غيابه عن الجامعة تثير في نفسه شعورًا بالذنب، كيف له أن يترك يومًا

من دراسته؟ لكنه لم يستطع، غادر سريره بصعوبة، وأخذ هاتفه ليخبر مديره في العمل أنه مريض.

بعد أن أنهى المكالمة، جلس بضع لحظات يراقب الخارج من نافذته؛ حيث كانت السماء الرمادية تملأ الأفق، والرياح تعصف بالشوارع، فكر في ياسمين، كيف ستكون ردة فعلها عندما لا تراه اليوم في المكتبة، وهل ستشعر بالقلق عليه، لم يستطع منع نفسه من الذهاب إلى هناك، فقد أصبح هذا المكان بالنسبة له ملاذًا آمنًا يعثر فيه على الراحة، وأيضًا فرصة لرؤية ياسمين، ولو للحظات قليلة.

عندما دخل المكتبة، شعر بالبرد يتسرب إلى عظامه، لكن كان هنالك شيء آخر يخفف من شدة مرضه، وسط الأرفف المكدسة بالكتب، كانت ياسمين هناك، تجلس في مكانها المعتاد، عيونها كانت تراقب الكتب التي بين يديها، لكن سرعان ما رفعت رأسها، لتلتقي عيناها بعينيه، كان ذلك اللقاء المفاجئ كما لو أنه خيط من الأمل امتد في قلبه المريض.

"أين كنت؟ هل أنت بخير؟" سألته ياسمين بقلق، وهي تقترب منه، عينيها تحملان نظرات مليئة بالأسئلة والاهتمام، شعور غريب اختلط في قلب آدم، شعور بالارتياح لرؤيتها، وشيء آخر أعمق من ذلك، وكأنها كانت حصنًا في عالمه المظلم.

أجابها بصوت منخفض، يملؤه الخجل والضعف: "نعم، أنا بخير.. فقط الطقس البارد جعلني أشعر بالتعب قليلًا"، كانت الكلمات تخرج منه بصعوبة، كما لو أن المرض قد أخذه بعيدًا عن نفسه.

ياسمين بدت أكثر اهتمامًا، واقتربت منه أكثر، وكأنها تخشى أن ينهار أمامها، "هل أنت بحاجة إلى أي مساعدة، يجب أن أطمئن عليك، دعني أعرف ما إذا كنت بحاجة إلى شيء" ثم أضافت: "هل يمكنني أخذ رقم هاتفك؟ حتى أتأكد من أنك بخير" لقد قلقت عليك كثيرا عندما لم أجدك في مكانك في المكتبة.

في تلك اللحظة، شعر آدم بشيء لم يشعر به من قبل، كانت ياسمين تحيطه بكلماتها مثل دفء مفاجئ في عاصفة، وداخل قلبه، شعر بأن هذا الطلب كان بداية لشيء ما مختلف، شيء يمكن أن يغير كل شيء.

بعد لحظات من الصمت المتبادل، والتي كانت مليئة بمشاعر مختلطة، تملكت آدم فكرة غير متوقعة، لكنه شعر في أعماقه بأنها هي اللحظة المناسبة، كان في حاجة إلى شيء مختلف، إلى لحظة يستطيع أن يتنفس فيها بحرية، بعيدًا عن قيود المرض، والعمل، والدروس التي تثقل كاهله، رفع عينيه تجاه ياسمين، وكأنها شعاع ضوء وسط الظلام الذي يحيط به، وقال بصوت منخفض، لكنه مليء بالصدق:

"ماذا لو تناولنا الطعام معًا اليوم؟" كانت الكلمات تخرج منه بحذر، كأنها تتسلل من قلبه، ولكنه كان واثقًا من أنه لا يستطيع مقاومة الرغبة في قضاء وقت معها" لنمشي في شوارع المدينة، المدينة جميلة جدًا في هذا الوقت من السنة، تغطيها الثلوج كأنها لوحة فنية حية، وأنا أشعر أن هذا اليوم يمكن أن يكون مميزًا."

كانت عيناه تلمعان بشيء لم تلاحظه ياسمين من قبل، ربما كان هناك شعور أعمق من مجرد الرغبة في الهروب من مرضه أو روتينه اليومي، كان هناك شيء آخر، شيء يتعلق بها، يربطه بها بشكل غير مفهوم.

ثم تابع قائلاً، وهو يبتسم ابتسامة خفيفة لا تخلو من الضعف: "اليوم أنا حر، لا عمل، ولا محاضرات، فقط أنا وأنتِ.. هذا اليوم لنا"، كانت الكلمات تتناثر من فيهِ كما لو أنه يعلن عن أمل جديد في قلبه، أمل بأن يجد في هذا اليوم ما يغير له كل شيء.

شعر بشيء غريب يسري في جسده، كأن تلك اللحظة هي المرة الأولى التي يشعر فيها بالتنفس الكامل بعد أن كان محاصرًا بالكثير من الهموم والضغوط، "لأكون صريحًا معك، أشعر بتحسن الآن، ربما لأنني فقط معك" قالها بصوت دافئ، مزيج من الحقيقة والإحساس، وكأنها هي السبب في تحسن حالته النفسية.

نظرت إليه ياسمين، والقلق الذي كان يملأ عينيها بدأ يذوب شيئًا فشيئًا، ليحل محله اهتمام أكثر عمقًا، ابتسمت، وقالت بصوت يحمل نبرة من المفاجأة والسرور: "أعتقد أن هذه فكرة رائعة، آدم، لنذهب إذًا".

غادرا المكتبة معًا، ووقع أول تأثير لمغادرتها عليهما بشكلٍ غير متوقع، شعرا وكأنهما خرجا من عالم كان يملؤه الصمت والتركيز إلى عالم مفتوح، مليء بالضوء والهواء النقي الذي يلامس وجوههما، كان الجو باردًا، لكن برودة هواء سانت بطرسبرغ في ذلك الوقت من العام لم تكن تقوى على التسلل إلى قلوبهما، كان الثلج يغطّي الشوارع بسلاسة، يلمع تحت ضوء الشمس الخافت الذي اخترق السماء الرمادية، كانت المدينة تبدو كأنها خرجت من إحدى القصص القديمة، الشوارع مزخرفة بالثلوج، والأشجار بلا أوراق، لكنها كانت رائعة بجمالها الهادئ.

شعر آدم بشيء غير مألوف، وكأنّه لأول مرة يستمتع حقًا بكل هذه التفاصيل الصغيرة حوله، الثلوج تحت قدميه كانت تلامس الأرض برقة، وكلما مشى، كان يترك أثرًا في طريقه، بجانبه كانت ياسمين، خطواتها خفيفة، كأنها تسير على نفس الإيقاع الذي كان يدق في قلبه، كانت تمشي بجواره، والعينان تتابعان السماء، حيث كانت الجسيمات البيضاء تتساقط ببطء من السماء، وكأنها تهبط لتسكن على أكتافهما.

تبادلا كلمات قليلة، لكن الصمت بينهما كان يحمل أعمق المعاني، كان هذا الصمت يملأ المسافة بينهما ويُشعرهما بأن هناك شيئًا غير مرئي يربطهما، كان آدم يسرح بأفكاره، لكنه شعر بالراحة في وجود ياسمين، وكأن الدنيا بأسرها قد توقفت، وأصبحت تلك اللحظات هي كل ما يهم.

ثم اقتربا من أحد المقاهي الصغيرة على ناصية الطريق، حيث كانت نوافذه مغطاة بالثلج، وضوء المصابيح داخل المكان يبعث على الدفء، دخلا معًا، وجلسا على طاولة قرب النافذة، حيث كان يمكنهما مشاهدة تساقط الثلج من النافذة، بينما يتناغم الجو داخل المقهى مع الراحة التي شعرا بها.

أثناء تناول الطعام، كان آدم يراقب ياسمين بعينين هادئتين، كأن هناك شعورًا عميقًا يسكن قلبه كلما نظر إليها، كانت تأخذ أنفاسها الصغيرة بهدوء، وابتسامتها التي تظهر بين الحين والآخر كانت تملأ المكان دفئًا، وكأنها تبعث الحياة في كل شيء حولهما، كان حديثهما بسيطًا، لكن كل كلمة كانت تحمل في طياتها معنى أكبر، شيء غير مفصّل بعد، لكنه كان ينمو في الهواء المحيط بهما.

وعندما خرجا من المقهى، كان الجو قد أصبح أكثر برودة، لكنهما لم يهتما بذلك، واصلا السير في الشوارع المتعرجة، وتناوبت نظراتهما بين السماء والأرض، حيث كان الثلج

يغطي كل شيء، وكأن المدينة قد أصبحت لوحة فنية، تُشبع الروح بكل ما فيها من جمال وهدوء.

طوال الطريق، كان آدم يزداد ارتياحًا بوجود ياسمين، وكانت تشعر بذلك أيضًا، كان شعورا متبادلا وكأنها تدرك تمامًا ما كان يشعر به دون أن يبوح به، نظرت إليه وقالت بابتسامة لتطمئن قلبه: "أنا سعيدة أننا فعلنا هذا اليوم، كان يومًا رائعًا" كان الصوت الذي خرج منها ناعمًا، خاليًا من أي تعجّل، وكأنها تقدّر كل لحظة مع آدم.

وبينما اقتربا من سكن الجامعة، بدأ آدم يشعر بشيء غريب، كأن تلك اللحظات المميزة التي قضياها معًا كانت كفيلة بأن تعيد له نشاطه، حتى وإن كان مريضًا، كان يرى المدينة بأعين جديدة، يرى الحياة في تفاصيلها الصغيرة، وكأنها كانت مرسومة له بيديهما معًا.

وعندما وصلا إلى السكن، كان الشعور بالرضا يملأ قلبه، لم يكن يتمنى سوى أن يستمر هذا اليوم، أن يستمر هذا الشعور الجميل الذي لم يكن متأكدًا تمامًا من ماهيته، لكنه كان يعرف أنه شيء حقيقي، شيئًا سيغير كل شيء.

استمرت الأيام تمضي ببطء، لكنها حملت معها تغييرات كبيرة في حياة آدم، مع مرور الوقت، بدأ يشعر وكأن سانت بطرسبرغ قد أصبحت وطنه الجديد، رغم المسافة التي تفصله

عن عائلته، كان قد قطع عامًا كاملًا في المدينة؛ حيث بدأ ينسجم تدريجيًا مع روتينه اليومي الذي جمع بين العمل والدراسة، خاصة تلك اللحظات التي يخصصها لياسمين، كانت الحياة بدأت تأخذ شكلاً مختلفًا بالنسبة له، لم يعد يشعر بغربة ذلك الشاب الذي جاء إلى هنا بمفرده، بل كان يشعر بأنه جزء من هذه المدينة الثلجية، وأصبح لديه مكان فيها، سواء على مقاعد الدراسة أو بين الكتب في المكتبة.

أصبح يعكف على دراسته بكل جد، لكن قلبه كان دائمًا مشغولًا بشيء آخر، إنه ياسمين، التي أصبحت جزءًا من روتينه اليومي، أصبح يراها جزءًا من كل صباح يقضيه في المكتبة أو النزهة في شوارع المدينة وأماكنها الهادئة، كانت تملأ حياته بحضورها الهادئ، وضحكتها التي باتت تتردد في ذاكرته حتى في أحلك الأوقات، كان يلاحظ تفاصيلها الصغيرة، تلك النظرة المتفائلة التي تملأ عينيها عندما تجلس بجانبه في المكتبة، أو الصوت الهادئ الذي يخرج منها حينما تشاركه أفكارها حول الكتب أو الحياة.

كانت العلاقة بينهما قد نضجت بشكل طبيعي، لم يكن هناك شيء ملح أو مفاجئ، لكن كانت مشاعرهم تنمو بصمت، كالأشجار التي تنمو في فصل الشتاء، رغم برودة الجو، لكن جذورها تتعمق تحت الثلوج، أصبحا يتبادلان الحديث أكثر فأكثر، وتطورت علاقتهما إلى صداقة حقيقية، مليئة بالتفاهم

والمشاركة، أدركت ياسمين أن آدم لم يعد مجرد زميل في الدراسة أو شخصًا عابرًا في حياتها، بل أصبح صديقًا حقيقيًا، شخصًا يمكنها الاعتماد عليه، كان يقف بجانبها في كل لحظة، يساعدها إذا احتاجت، ويشاركها لحظات الفرح كما لو أنها كانت جزءًا من حياته اليومية، كما كانت تحب وجوده بجانبها، وهي تشعر بنفس الانفتاح والأمان الذي يشعر به آدم.

وفي ذات الوقت، كان آدم يشعر بارتياح أكبر في وجود ياسمين، وكأنها كانت تُعيد ترتيب فوضى قلبه، تمنحه إحساسًا بالأمان وسط هذا العالم البعيد عن عائلته، أصبحت المكتبة، تلك المساحة التي كانت مكانًا للعمل فقط، تتحول إلى ملاذ لهما معًا، وعندما كانا يتجولان في شوارع المدينة المغطاة بالثلوج، كان يشعر وكأن الوقت قد توقف، وكأن المدينة بأكملها قد صارت ملكًا لهما وحدهما.

بدأ آدم يعتاد على الحياة في هذه المدينة، وكأنها أصبحت جزءًا منه، كما بدأ يرسل المال إلى عائلته بانتظام، وهو يشعر بأن المسؤولية التي يحملها على عاتقه أكبر مما كان يتخيله، كان يشق طريقه في هذه الحياة الجديدة، لكن بوجود ياسمين، لم يعد يشعر بالوحدة التي كان شعر بها في بداية وصوله إلى سانت بطرسبورغ، لم تعد المدينة مجرد مكان غريب بالنسبة له، بل أصبحت مكانًا يمكنه أن يكون نفسه فيه، وسط شوارعها الثلجية وأزقتها الهادئة، حيث يرافقه صديقه العزيز.

كانت ياسمين بدأت تفهم تمامًا أن علاقتها مع آدم ليست مجرد علاقة دراسية أو عابرة، بل هي علاقة صداقة عميقة، كانت تشعر بالثقة فيه، وتعلم أن وجوده بجانبها لم يكن فقط بسبب التوقيت أو الظروف، بل كان شيئًا أكثر من ذلك، شيئًا يتجاوز كل الكلمات.

مضت الأيام ببطء، لكنها حملت معها تغييرات كبيرة في حياة آدم، مع مرور الوقت، بدأ يشعر وكأن سانت بطرسبرغ قد أصبحت وطنه الجديد، رغم المسافة التي تفصله عن عائلته. كان قد قطع عامًا كاملًا في المدينة، حيث بدأ ينسجم تدريجيًا مع روتينه اليومي الذي جمع بين العمل والدراسة، وأيضًا تلك اللحظات التي يخصصها لياسمين، كانت الحياة بدأت تأخذ شكلاً مختلفًا بالنسبة له، لم يعد يشعر بغربة ذلك الشاب الذي جاء إلى هنا بمفرده، بل كان يشعر بأنه جزء من هذه المدينة الثلجية، وأصبح لديه مكان فيها، سواء على مقاعد الدراسة أو بين الكتب في المكتبة.

كان آدم جالسًا في غرفته الصغيرة، يغمره ضوء خافت من مصباح الطاولة، بينما كان يحدق في الفراغ أمامه، غارقًا في أفكاره، أغمض عينيه لحظة، وبدأ يراجع في ذهنه كيف وصل إلى هذه النقطة في حياته، كان يشعر وكأن كل شيء حوله قد تغيّر فجأة، منذ عام مضى، كان مجرد شاب غريب في مدينة ثلجية بعيدة عن وطنه، لا يعرف شيئًا عن هذه الحياة، ولا عن

نفسه، أما الآن، فقد أصبح موظفًا في مطعم، وطالبًا مجتهدًا يحقق تقدمًا في دراسته، كيف مرّت الأيام بهذا السرعة؟ كيف تحوّل من شخص ضائع إلى آخر يتنقل بثقة بين تفاصيل حياته؟

كان يشعر بشيء يشبه التمزق بين الماضي والحاضر، بين تلك الأيام التي كان فيها مشتتًا، وحالته الحالية، التي تمزج بين النجاح والتعب في كل يوم، كانت الأيام مليئة بمشاعر متناقضة؛ تعب من العمل، سعادة بالإنجاز، حزن على بعده عن عائلته، وتحديات الدراسة التي كانت لا تنتهي، لكنه، في النهاية، كان يعرف أنه قد تغير، وكان يلتقط في كل لحظة معنى جديدًا لحياته.

ثم فجأة، انقطع تدفق أفكاره عندما رنّ هاتفه، كان الصوت الذي جاء من الجهاز هو صوت ياسمين، الذي أحس به وكأنّه نغمة تعيد الحياة إلى أوقات صمته، تردد قليلاً قبل أن يرد، وفي قلبه كان هناك شعور غريب، مزيج من الدفء والأمل.

"آدم، ما رأيك أن نذهب إلى السينما اليوم؟" جاء صوت ياسمين عبر الهاتف، محملًا بنغمة مبهجة، كانت تعبيرًا عن رغبتها في قضاء وقت ممتع، "اليوم الأحد، وهو عطلة، لدينا وقت لننعم بيوم جميل معًا".

ابتسم آدم، رغم أنه كان في حالة ذهنية مليئة بالتفكير، كان يعرف أن هذا اليوم سيكون مميزًا، وأنه بحاجة إلى هذا التغيير في روتين الحياة، "نعم، بالطبع، سيكون يومًا جميلًا"، كان صوته يحمل نغمة من السعادة، رغم أن ذهنه كان ما يزال معلقًا في الماضي، لكنه شعر بأن هذه اللحظة، هذه الدعوة البسيطة، هي ما كان يحتاج إليه ليعيد التوازن إلى نفسه.

أغلق الهاتف، ثم عاد للنظر في نفسه في المرآة، كان يرى شابًا قد أُثقل بالمسؤوليات، ولكن في عينيه كانت هناك شرارة صغيرة، مثل شعاع ضوء يضيء الطريق أمامه، فكر في ياسمين، التي أصبحت جزءًا مهمًا من حياته، كيف كانت ضحكتها تملأ الفراغات في قلبه، وكيف أن مجرد الحديث معها كان يُشعره بالراحة وكأن شيئًا ثقيلًا قد زال من على كاهله.

في تلك اللحظة، شعر بشيء جديد، شعور بالهدوء بين كل تلك الفوضى في ذهنه، كان يعرف أن يومه هذا سيكون بداية لتجربة جديدة لهما معًا، في تلك اللحظة، ترك كل شيء خلفه، وبدأ يستعد لليوم الذي سينقله إلى مكان آخر، إلى ذكريات جديدة ستُضاف إلى قائمة اللحظات السعيدة التي لا تُنسى.

كان اليوم قد بدأ بتدفق الضوء الباهت من شمس شتوية مائلة للغروب، مما منح المدينة هالة من السكون والجمال الفاتن،

بدأ آدم وياسمين سيرهما في الشوارع المتعرجة، حيث كانت الثلوج قد غطت الأرض بسكون عميق، تنكسر تحت أقدامهم بأصوات خفيفة، كأن كل خطوة كانت تضيف لحظة جديدة إلى يومهما، كانت الشوارع مرصوفة بالحجارة القديمة، وواجهات المباني مزينة بالثلوج التي لامستها الرياح، مما جعلها تتناثر برفق في الهواء، كأنها ريشة تراقصها أنفاس الحياة.

كان الشارع يغمره شعور غريب من الدفء وسط البرد القارس، كأن الحياة قد اكتسبت معنى جديدًا تحت هذا السقف الثلجي، تتناثر الأضواء من نوافذ المحلات الصغيرة التي تزينها الأضواء الدافئة، بينما كانت أصوات الموسيقى الخافتة تأتي من المقاهي التي امتلأت بالناس المتجمعين على مشروبات دافئة، كانت المدينة تبدو وكأنها تنبض بالحياة، ورغم برودة الطقس، كان الهواء منعشًا، وكل شيء حولهما كان يشعرهما بأن الوقت يمر ببطء، كما لو كان الوقت قد قرر أن يتوقف فقط لكي يستمتعا بكل لحظة.

كان حديثهما بين ضحكة وآخرى، كلماتهما كانت تتناغم مع الأجواء، وكان كل حرف ينطق به آدم يحمل من الدفء ما يعكس حرارة الحديث، بينما كانت ياسمين تشاركه الضحك بابتسامة خفيفة، تنير وجهها في ضوء الشوارع الهادئ، كانا يسيران جنبًا إلى جنب، كما لو أن العالم قد اختفى من حولهما،

ليتركا مسارًا ضبابيًا من الثرثرة الممتعة والضحكات المخبأة في هواء الشتاء.

مع مرور الوقت، وصلا إلى السينما، التي كانت تقع في ناصية شارع هادئ بعيد عن صخب المدينة، كانت سينما قديمة، بجدرانها المشبعة برائحة التاريخ، وأضواؤها التي تبعث على الحنين إلى الماضي، كانت الواجهة مزينة بإعلانات أفلام قديمة، وبعض اللمسات الحنونة التي توحي بأنها لم تتغير منذ سنوات، لم يكن المكان فخمًا كالأماكن المعاصرة، لكنه كان يحمل في أجوائه إحساسًا بالراحة والألفة، وكأن الزمان هنا قد تجمد ليحتفظ بجماله القديم.

دخلا إلى صالة العرض، حيث كان الجو دافئًا مقارنة بالبرد في الخارج، الأضواء الخافتة كانت تضيء المكان بشكل متوازن، مما أضفى على الجو طابعًا من الهدوء والرومانسية، كان كل شيء هادئًا، مع بضع أشخاص في المقاعد الأمامية، ومع بداية الفيلم، شعرا وكأنهما قد غرقا في عالم جديد معًا، بعيدًا عن مشاغل الحياة، بين ظلال الشاشة الكبيرة، بينما كانت الأصوات والمشاهد تتلاعب بمشاعرهما.

جلسا جنبًا إلى جنب في المقاعد، حيث كانت أيديهما تلتقي بشكل عفوي، وكأن تلك اللحظة كانت الأكثر دفئًا في هذا اليوم البارد، تراقصت الأنوار في الشاشة أمامهما، بينما كان الفيلم يعكس مزيجًا من المغامرة والخيال، لكن آدم كان غارقًا في

شيء آخر، كان قلبه ينبض بتسارع مع كل حركة، مع كل نظرة، مع كل لحظة قضوها معًا في هذا المكان البسيط، كان يعلم أن الوقت يمضي سريعًا، لكنه شعر بأنه يود أن يتوقف كل شيء الآن، ليحتفظ بتلك اللحظة.

بينما كانت ياسمين بجواره، كانت تشعر بنفس الشعور، كانت عيونها تراقب الفيلم، لكن قلبها كان يتراقص مع كل لحظة يمضيانها معًا، كانت تشعر بالسكينة التي يجدها آدم في قربها، وكانت تعرف أن هذا اليوم سيكون واحدًا من الأيام التي سيحتفظان بها في ذاكرتهما للأبد.

بعد عدة أيام

كان الجو هادئًا، والثلج يتساقط من جديد على المدينة، بينما كان آدم جالسًا في غرفته الصغيرة، عيناه تراقب ضوء المصباح الخافت الذي يرقص في الزوايا، كانت الأفكار تدور في رأسه مثل دوامة، وكل فكرة تأخذ زاوية جديدة من قلبه، فجأة، قطع الهاتف الصمت، كان الاتصال من والدته.

"آدم، السقف في البيت متهالك.. يحتاج لإصلاحات، لكن التكلفة كبيرة جدًا"، كانت كلمات والدته تأتي ثقيلة على قلبه، وكأنها تقع على قلبه بيد ثقيلة، كانت تشعر بالقلق في صوتها، لكن في تلك اللحظة، كان أكثر ما يؤلمه هو شعوره بالعجز، عجزه عن مساعدتها كما كان يتمنى.

أطال الحديث معها، وهو يحاول أن يطمئنها بأن كل شيء سيكون على ما يرام، ولكنه كان يعلم أنه لا يقول الحقيقة، كان يعلم أن إصلاح السقف يحتاج إلى مبلغ كبير من المال، وهو المال الذي بالكاد يستطيع توفيره، شعور بالضغط الشديد اجتاحه، وشعرت أصابعه بالتعرق وهو يفكر في كيفية جمع المال اللازم.

بعد أن أغلق الهاتف، جلس آدم في مكانه، غارقًا في أفكاره، كان يحدق في المسافة أمامه، كأن الجدران الأربعة التي تحيط به أصبحت ضيقة جدًا عليه، كان عقله يسبح في بحر من الأسئلة: كيف سيتحمل تكاليف الإصلاح؟ كيف يمكنه أن يساعد عائلته؟ وأهم سؤال: كيف سيفعل كل هذا دون أن يثقل كاهل نفسه أو عائلته أكثر؟ كان يدرك أنه لا يستطيع ترك والدته في تلك الحال، لكنه في الوقت نفسه كان يعلم أن جمع المال لإصلاح السقف سيكون مجرد خطوة واحدة على طريق طويل من المسؤوليات التي سيتعين عليه تحملها.

وفي تلك اللحظة، جال في ذهنه صورة أخرى، صورة حلمه الذي لطالما تمناه في صمت: أن يشتري بيتًا جديدًا لعائلته، منزلا كبيرا، لا سقف مهدم فيه، لا جدران متهالكة، كان يتخيل نفسه يسير في أرجائه، يفاجئ والدته ببيتها الجديد، حيث يمكن لها أن تنام بسلام دون أن تخشى تساقط الأمطار على السقف المهدم، كان قلبه ينبض بسرعة وهو يفكر في هذا

الحلم، لكنه سرعان ما يعود إلى الواقع، ليشعر بثقل المهمة التي تنتظره.

"لا أريد لإخوتي أن يعيشوا حياتي نفسها.. القلق نفسه، الفقر نفسه، الانكسار نفسه"، همس بهذه الكلمات بصوت منخفض، وكأن صوته كان يراوده على سرّه، كان يشفق على نفسه، على حالته، لكنه في الوقت نفسه كان يشتاق لتغيير هذا الواقع، أن يعيش هو وعائلته حياة أفضل، كان الحلم يتشكل في رأسه، ولكنه كان يدرك أنه يحتاج إلى جهد كبير، إلى الوقت، إلى المال، وإلى عزيمة لن تنكسر.

استمر في التفكير، غارقًا في هذه المعركة الداخلية بين الأمل والواقع، وبين الحلم الذي يلاحقه وبين القيود التي تكبل يديه، وكان يعلم أن هذا مجرد بداية، بداية لطريق صعب سيسلكه، لكنه شعر بشيء آخر أيضًا، شيئًا لم يكن يتوقعه؛ شعور غريب بالتصميم، عزيمة جديدة تولدت في قلبه، ربما تكون هذه اللحظة هي التي ستغير كل شيء.

بينما كان آدم غارقًا في بحر من الأفكار والهموم، تفاجأ برنين الهاتف، رفعه ببطء، وكأن قلبه كان ينبض بشدة، يشعر بأن هناك شيء غير مألوف يلوح في الأفق، نظر إلى الشاشة فوجد اسم والده يضيء عليها، كان صوت والده دائمًا يحمل هدوءًا خاصًا، لكن اليوم كان يحمل شيئًا من الحنان الذي لا يمكن تجاهله.

"آدم، كل شيء على ما يرام.. لا تحمّل نفسك فوق طاقتها، لن يكون الأمر كما تتخيل"، كان صوت والده رقيقًا، لكنه قوي في الوقت نفسه. كأن الكلمات تنبع من قلبه، تحمل معاني عميقة لا تستطيع الكلمات العادية أن تعبر عنها، "أعرف ما تشعر به، لكنني سأحاول إصلاح السقف بنفسي، واعذر والدتك، هي تلجأ إليك لأنك الابن الكبير، هي تحبك كثيرًا، وأنت بالنسبة لها كل شيء، لذا كان من الطبيعي أن تتوجه إليك، لكنني طلبت منها ألا تتصل بك في المستقبل".

جلس آدم في صمت، كان قلبه مثقلاً بالأحاسيس المتناقضة، لم يكن يود أن يخذل والدته، ولا أن يشعر والده بأنه يعاني، ولكن في اللحظة نفسها، كان هناك شيء عميق في داخله يشعر به، شعور بالمسؤولية التي كانت تتراكم عليه بشكل غير عادل في بعض الأحيان، ردّ بصوت ثابت لكنه محمل بالعاطفة، "لا عليك، يا أبي، سأقوم أنا بإصلاح السقف، لا أريدك أن تشعر بالقلق، سأقوم بكل شيء".

ساد الصمت بينهما، كأن الكلمات لم تعد قادرة على التعبير عن كل شيء. كان آدم يعرف أن والده يحبهم، كان يعلم أن والدته لا تود أن تثقل كاهله، ولكن بين هذه الكلمات، كان هنالك حب غير مشروط، حب لا يحتاج إلى تفسير، تلك المحادثة التي كانت قصيرة، لكنها تركت أثرًا عميقًا في قلب آدم، لم يكن مجرد كلام عادي، بل كانت رسالة حقيقية من

والدٍ قلقٍ على ابنه، ومن ابنٍ مثقل بالمسؤولية، لكنهما يتشابكان في حبٍ عميق لا يمكن لأي من الكلمات أن يصفه بدقة.

في اليوم التالي، جلس آدم مع ياسمين في زاوية هادئة من المكتبة، يحيط بهما هدوء المكتبة وسكون الكتب من حولهما، نظر إليها بعينين ممتلئتين بالقلق والتردد، كأن الكلمات تتعثر على شفتيه، لكنه قرر في النهاية أن يشاركها همومه.

"ياسمين، أفكر في البحث عن عمل آخر، وضع عائلتي ليس على ما يرام، وسقف منزلنا يحتاج إلى إصلاحات مكلفة، أشعر أنني بحاجة إلى جهد أكبر لأتمكن من مساعدتهم"، تنهد، ثم أكمل بنبرة تتخللها لمحات من التصميم، "أتقن ٦٠ بالمئة من اللغة الآن، كما تعلمت الكثير في المطبخ وأصبحت طباخا ماهرا، أعتقد أنني مستعد لخوض المزيد، لكن الطريق لا يزال شاقًا".

أخذت ياسمين نفسًا عميقًا، ومنحت آدم ابتسامة مليئة بالتفاؤل والدعم، ثم وضعت يدها بلطف على كتفه، وقالت: "آدم، أنا هنا معك، أعلم أنك تواجه تحديات صعبة، وأعرف كم تؤلمك الغربة وثقل المسؤولية، لكنك أقوى مما تتخيل، وكل خطوة تخطوها تجعلك أقرب إلى هدفك، الغرباء في هذه المدينة يعرفون قسوة الحياة هنا، لكنهم أيضًا يعرفون جمال الثمار التي يجنيها من يصمد ويواصل".

كانت كلماتها تحمل مزيجًا من الأمل والحكمة، وكأنها تضيف ضوءًا خافتًا في طريق آدم المظلم، شعرت بأنه لم يكن وحده في هذه المعركة، كان لديه شخصٌ يتفهمه، شخصٌ يرى فيه القدرة على تحقيق ما يسعى إليه، كانت تلك اللحظة بمثابة دفعةٍ جديدة من القوة، دفعته لأن ينظر إلى حياته من منظور مختلف.

"سنحاول معًا، يا آدم، وسيكون كل شيء على ما يرام، نعم، الغربة والحياة هنا قاسية، لكنها مليئة بفرص عظيمة، وثمارها تستحق كل هذا العناء".

بدأت رحلة آدم في البحث عن عمل جديد كأنها فصل جديد في حياته، مليء بالتحديات والأمل، كل صباح، كان يستيقظ مبكرًا، يقف أمام المرآة لبضع لحظات، يشحذ نفسه بكلمات ياسمين النابضة بالتشجيع والتحفيز، ليجهز نفسه لمواجهة يوم جديد من المحاولات والتحديات، كان يعرف أن عليه الموازنة بين عمله الحالي ودراساته، وأن يضيف إلى هذا عبء البحث عن وظيفة أفضل تدفع له راتبًا أكبر، ولكن تفكيره في عائلته ومنزلهم المتهالك كان يحفزه على المضي قدمًا.

كان آدم يقضي ساعات في التجول بين أحياء المدينة، يبحث عن المطاعم التي قد تحتاج لموظفين جدد، كان يقف أمام كل بابٍ بمزيج من الترقب والأمل، يلقي التحية، ويعرض سيرته الذاتية، ومع كل مقابلة، كان يقدم نفسه بثقة متزايدة، مدركًا أن

مستواه في اللغة قد تحسن وأن مهاراته في المطبخ قد تطورت، كانت ردود الأفعال تتباين بين رفضٍ صريح، أو وعدٍ غامض "سنتصل بك لاحقًا"، أو نظرات متفحصة من أصحاب المطاعم الذين لم يكونوا واثقين تمامًا من مهاراته.

مرّت أيام متتابعة، ولم تكن أي بارقة أمل تلوح بالأفق، ومع ذلك، لم يسمح آدم لخيبة الأمل أن تثبط من عزيمته، كان يعود إلى غرفته في المساء، منهكًا، يجلس متأملاً قائمة المطاعم التي زارها، يكتب ملاحظات لنفسه، ويبحث عن مطاعم أخرى لم يزرها بعد، في تلك الليالي الطويلة، كانت أفكاره تتشعب بين حنينه إلى وطنه، ومسؤوليته تجاه عائلته، وحلمه في بناء حياة أفضل لهم جميعًا.

وفي أحد الأيام، بينما كان يهمّ بزيارة آخر مطعم في قائمته، لفت نظره مطعم صغير في شارع جانبي، واجهته مزينة بأضواء دافئة تجذب الأنظار، دخل مترددًا، وقد بدا المكان مكتظًا بالزبائن، ورائحة الطعام تعم الأجواء، بعد محادثة قصيرة مع المدير، شعر أن شيئًا مختلفًا ينتظره هنا؛ كان المدير يتفحصه بنظرة جدية، قبل أن يبتسم ويقول له: "أعتقد أننا يمكن أن نستفيد من خبرتك معنا".

كان ذلك بمثابة انتصار صغير لكنه عظيم في عيني آدم، أخيرًا، وجد عملاً جديدًا براتب أفضل، شعر بنبضة من السعادة تتخلل قلبه، وكأنه أضاء شمعة جديدة في طريقه

المظلم، ومع دخوله أول يوم عمل في المطعم الجديد، كان لديه إحساس مختلف؛ هذا العمل ليس مجرد وظيفة، بل خطوة نحو تحقيق حلمه، الآن، أصبح قادرًا على البدء في الادخار لإصلاح سقف منزل عائلته، ليمنحهم حياة كريمة، وربما في يوم ما، يحقق حلمه الكبير في شراء منزل جديد لهم.

في كل مرة كان يعود إلى غرفته ليلاً، بعد يوم طويل من العمل، كان يشعر بأن العبء الذي يحمله يزداد خفة، كان يمضي ساعات يفكر في المستقبل، في تحسين حياة عائلته، وفي ذلك الأمل الذي نما داخله يوماً بعد يوم، كلما تذكر اللحظات التي بدأ فيها رحلته، وكيف وصل إلى هذا الإنجاز الصغير الذي أعطاه دفعة للاستمرار، رغم صعوبة الطريق.

بدأ آدم العمل في المطعم الجديد بحماس متجدد، وكأن شيئًا براقًا يعيد إحياء داخله، كان يشعر بالرضا كلما ارتدى مئزر الطهي ووقف خلف الموقد، يراقب الأطباق التي يعدّها بحرفية واهتمام بالغين، كان المطعم دائم الحركة، والعمل لا يهدأ، لكنه أحب كل لحظة يكون فيها هناك، كان ذلك العالم الذي يحترق فيه الموقد ويغلي فيه القدر، يشبه حياته؛ مليء بالتحديات لكنه مليء بالدفء أيضًا.

كانت الليالي تتوالى، ويجد نفسه أحيانًا يشارك في حفلات خاصة ومناسبات، حيث كان يُطلب منه الطهي للضيوف وكأنه يضيف لمسة خاصة لكل طبق، تلك الحفلات، وإن

كانت تتطلب جهدًا إضافيًا، إلا أنها رفعت دخله بشكل لم يتوقعه، ومع مرور الوقت، بدأت السعادة تتسلل إلى قلبه بشكل أعمق، كلما شعر أنه قادر على تحمل التكاليف ودفع رسوم الجامعة دون قلق، أصبحت حساباته منظمة، بين التزامات الدراسة والمصاريف الشخصية، وبين هدفه الأكبر: الادخار لترميم سقف منزل عائلته، الذي ما زال يشكل همًا عالقًا في ذهنه.

وها هو اليوم، وبعد شهور من العمل الشاق، أخيرًا يستعد للخروج مع ياسمين لتناول العشاء، كان يدرك أن الوقت مع ياسمين له طابع خاص، لا يشبه أي وقت آخر، خطط لذلك اليوم بعناية، وتمنى أن يعبر لها عن جزء من الامتنان الذي يشعر به لوجودها بجانبه في كل خطوة، كان يتطلع لتلك اللحظة بفارغ الصبر.

وفي تلك الأمسية، وقف أمام مرآته برهة من الزمن يتأملها، ينظر إلى نفسه بفرحة متواضعة، ثم ابتسم تقديرا لنفسه عندما تذكر حلمًا بسيطًا لطالما راوده، حلم امتلاك كمبيوتر محمول، كان يحلم منذ مدة طويلة بأن يكون لديه جهاز يساعده في دراسته ويسهّل عليه العمل في مشاريعه الدراسية، ومع دخله المتزايد، أصبح أخيرًا قادرًا على تحقيق هذا الحلم.

بينما كان برفقة ياسمين في شوارع المدينة يتجولان، كان يشعر بسعادة غامرة تجري في عروقه، كأنه يستشعر طعم

النجاح البسيط والمتواضع الذي حققه، لكنه كان يعني له كل شيء، كانت الطرقات تلمع بأنوار المحلات، وكان الجو باردًا، لكن حرارة فرحته كانت أقوى، دخل المحل مع ياسمين، واشترى الكمبيوتر المحمول الذي لطالما انتظره، حين حمله بين يديه، شعر وكأنه يحقق خطوة نحو حياة أفضل، حياة مليئة بالأمل والتقدم، وكأن تلك الشاشة التي حملها للتو ستفتح أمامه أبوابًا جديدة.

وفي نهاية اليوم، جلس مع ياسمين لتناول العشاء، وأخذ لحظة صمت ليعبر عن امتنانه لها؛ حيث كانت كل كلمة تبادلها معها، كل لقاء بينهما، كل لقمة تناولاها معا، كانت تمثل له أكثر من مجرد طعام وحديث؛ كانت تعبّر عن تضحياته وجهوده، وعن الفرص التي عمل بجد لتحقيقها، كان ينظر إلى وجهها المبتسم، ويشعر بأن لديه من يشاركه الطريق، من يشهد على لحظات تعبه وفرحته.

ذلك العشاء البسيط، وجهاز الكمبيوتر الذي امتلكه أخيرًا، كلاهما كان رمزا لأحلامه التي بدأ يحققها، خطوة تلو الأخرى، بشغف وتفاؤل لا ينكسر.

كانت أم آدم تقف في زاوية الغرفة، ترفع رأسها ببطء لتحدق في السقف المتهالك، كان السقف يعكس كل حكايات السنين الطويلة، الشقوق التي تظهر في كل زاوية منه ليست مجرد آثار للزمن، بل كانت تذكيرًا قاسيًا بسنوات من الجهد

والتضحيات، كل مرة كانت تنظر إليه، كانت ترى في كل ثقب وحفرة لمحة من تعبها وتضحياتها، وآمالها التي ظلت تكبر وتنمو مع كل يوم.

ومع ذلك، كانت هناك بارقة أمل تسكن عينيها، فرحة خافتة تتسلل إلى قلبها كلما فكرت في ابنها البعيد، كانت متأكدة أن آدم لن يخذلها، أنها ربّته على الصبر والعزيمة، وأودعت فيه أمانة تتجاوز مجرد ترميم سقف، إنها الأمانة التي زرعتها فيه منذ صغره، عندما كان يجلس بجانبها ليستمع إلى قصصها ويشاركها أحلامها، كانت تعرف أن آدم لن يتوانى عن إصلاح ذلك السقف، ليس فقط ليدرأ عنهم برد الشتاء القادم، بل ليحافظ على بيتٍ كان شاهداً على كفاحهم.

في آخر مكالمة لها معه، ترددت قليلًا، كان هناك شعور يثقل صدرها، شعور رغبت بأن تبوح به، كأنه إرثٌ ثقيل أرادت أن تتركه له، تنهدت، ثم قالت له بصوت خافت، لكنه حازم ويحمل من العزم ما لا يقبل النقاش، "يا آدم، احفظ عني هذا الكلام مدى الحياة، لا تتزوج إذا كنت فقيرًا، إما أن تكون قادرًا على بناء عائلة جيدة، توفر لها الأمان والكرامة، أو ابقَ عازبًا".

كانت كلماتها بسيطة، لكنها حادة كالسيف، لم تكن مجرد نصيحة عابرة، كانت تعلم أن الحياة قد تأخذ آدم في مسارات مختلفة، لكنها أرادت أن تحفظ له كرامته وكرامة من

سيشاركه حياته، أرادت أن تجعله يفهم أن العائلة ليست فقط بيتًا يلم شمل الأفراد، بل هي مسؤولية عظيمة، لا تتحمل العبث أو الإهمال.

كانت تعلم جيدًا أن تلك الكلمات قد تحمل له عبئًا إضافيًا، لكنها كانت على يقين أنها رسالة من قلب أم تعرف معنى الفقر والتعب، أم أرادت أن تحميه حتى في غيابه، أن تحافظ على صورة آدم الذي تربى على يدها، وألّا يضطر يومًا لرؤية عائلته تعاني كما عانت هي.

كان آدم يعيش أفضل أيام حياته في سانت بطرسبرغ، أصبحت حياته، التي كانت يومًا مليئة بالصعاب، تأخذ منحى أكثر إشراقًا وسعادة، كل أسبوع، كان يقضي مع ياسمين وقتًا خاصًا، موعدًا ثابتًا لا يخلفانه مهما كانت انشغالاتهما، كانت السينما وجهتهما المفضلة، يختاران معًا فيلمًا جديدًا ويجلسان وسط صالة العرض، يتقاسمان الضحكات والانفعالات في كل مشهد، كأنهما يستعرضان شريط حياتهما المليء بالفرح البسيط.

أما الشوارع، فقد تحولت إلى لوحات فنية يمشون فيها جنبًا إلى جنب، كانا يكتشفان كل زاوية في المدينة، يستمتعان برؤية المباني العتيقة والأضواء التي تتلألأ في مساءات المدينة الهادئة، كان يمشي بجانبها بخطوات واثقة، يحادثها عن أحلامه وتفاصيل يومه، بينما كانت تنعشه بتلك الابتسامة

الدافئة التي لا تزال تسحره كأنها المرة الأولى، أصبحت تلك الشوارع تعرف خطاهما، كأن المدينة باتت تحتضنهما وتحتفي بوجودهما معًا.

وكانت المقاهي والمكتبات محطات أساسية في رحلتهما، يجلسان في مقهى صغير، يختاران ركنًا هادئًا بجوار النافذة، يشربان القهوة ويخوضان في أحاديث لا تنتهي عن الحياة والطموحات والذكريات، في المكتبة، كان يقف بجانب رفوف الكتب، يستعرض العناوين، يتبادلان الكتب ويبحثان عن ذلك الكتاب الذي قد يأخذهم إلى عوالم جديدة، أصبح كل ركن في المدينة شاهداً على تفاصيل حياتهما المشتركة.

حياته أصبحت منظمة بشكل مثالي، حيث يوازن بين محاضراته في الجامعة والعمل دون الشعور بالإرهاق، كان عمله الجديد في المطعم مريحًا له، يجعله قادرًا على كسب المال الجيد دون أن يستنزف كل طاقته، وجد نفسه ينهض صباحًا بحماس، يدرك أنه سيقضي يومه في بيئة داعمة، وأنه سيعود ليلًا إلى الي مقهي الكتب حيث يجلس بجوار ياسمين، يناقشها في ما تعلمه ويستمع إلى آرائها.

ومع مرور الأيام، شعر آدم بأنه لم يعد غريبًا هنا، كأن المدينة احتضنته وأعطته هوية جديدة، بات ينتمي لهذه الشوارع والمباني، وأصبحت اللغة الروسية التي كانت يومًا عائقًا له تتدفق منه بسهولة، كأنها لغة قلبه، كان يدرك أن حياته قد

تحسنت كثيرًا، وأن ياسمين كانت جزءًا كبيرًا من هذا التحول، بوجودها، أصبحت الحياة أكثر بهجة، وأكثر عمقًا.

اليوم كان يومًا مختلفًا في حياة آدم، قرر الانتقال من السكن الجامعي إلى شقة جلس في غرفته الجامعية، التي شهدت كل مراحل رحلته، يتأمل الجدران والأثاث البسيط حوله ويسترجع كل اللحظات الصعبة التي مر بها منذ وصوله إلى هذه المدينة، منذ أن كان طالبًا غريبًا، لا يعرف أحدًا، ولا يمتلك إلا بضع كلمات من لغة البلد وأحلامًا صغيرة تراوده، اليوم، يشعر بشيء أشبه بالإنجاز الكامل، بفرحة مكتومة ودفء يشبه دفء الوطن.

نظر إلى هاتفه الذي يحتضن رسالة التحويل المالي التي سيبعثها إلى والده، أخيرًا، كان قادرًا على إرسال المال الذي تحتاجه عائلته لترميم سقف المنزل القديم، ذلك السقف الذي كان يراه في أحلامه، ينهار ويعيد بناءه، حتى أصبح هاجسًا يشجعه على الاستمرار دون توقف، كان السقف بالنسبة له أكثر من مجرد خشب وأسمنت؛ كان رمزًا لحماية أسرته، لعهد قطعه على نفسه بأن يعود لهم قويًا، قادرًا على العطاء.

وفي الجامعة، كانت الأمور تسير بشكل رائع، لم يكن فقط طالبًا مجتهدًا؛ بل أصبح من بين الأوائل في تخصصه، معروفًا بذكائه واجتهاده، كان أساتذته وزملاؤه يحترمونه، ينظرون إليه كقدوة للطموح والنجاح رغم الصعاب، كان

يترك أثرًا في كل درس يشارك فيه، وكأن كلماته وأفكاره تملأ قاعة الدرس بالمعرفة التي بناها بتعب الليالي الطويلة.

أما اليوم، فقد كان مميزًا لسبب آخر، قرر الانتقال من السكن الجامعي إلى شقة صغيرة في وسط المدينة، كانت تلك الخطوة حلمًا طالما راوده؛ أن يسكن في مكان يشعر فيه بالاستقلالية التامة، بعيدًا عن ضوضاء السكن الجامعي، قريبًا من قلب المدينة النابض؛ حيث المقاهي والمكتبات التي يعشقها، وحيث الشوارع التي يجوبها مع ياسمين، تخيل نفسه يعيش في تلك الشقة، جدرانها تزينها رفوف الكتب التي جمعها، والنافذة تطل على المدينة التي بدأت تصبح جزءًا منه.

مساءً، أرسل رسالة إلى والده، يخبره فيها بأن المال في طريقه، وأرفق معها رسالة صغيرة يقول فيها: "لن ينهار السقف يا أبي، لقد عدت إليكم وأنا أقوى من ذي قبل".

مع هذا الإنجاز، بدأت حياته تتغير بشكل ملموس، عمله أصبح أفضل، والراتب أصبح ثابتًا وجيدًا يكفيه لسد احتياجاته كما يمنحه شيئًا من الرفاهية التي طالما حلم بها، لم يعد يواجه القلق ذاته عند نهاية الشهر، حين كان عليه التفكير في كل قرش ينفقه، الآن، يشعر بالاستقرار المالي، كأن الحياة أصبحت تعطيه بعض الثقة وتخبره أن جهوده لم تذهب هباءً.

جلس أبو آدم في زاوية الغرفة، يفتح المغلف بعناية، يخرج منه الأوراق النقدية، وبدأ يحسبها ببطء، وكأن كل ورقة منها تحمل في طياتها قصة كفاح ابنه البعيد، عيناه ترقب يديه، التي اهتزت بخفة تحت ثقل هذا الحمل، كان يعلم أن هذه الأموال تمثل تعب سنوات من عمل آدم وسهره، وأنها أُرسلت إليه لغاية محددة، لأجل إصلاح السقف الذي كان الشغل الشاغل للعائلة، حماية لهم من شتاء قارس قادم.

لكنه كان يعرف أيضًا، في أعماقه، أن ديونه قد باتت تثقل كاهله، تتراكم مثل الظلال الداكنة التي لم يعد بمقدوره تجاهلها، وبينما كان يحسب المال ورقةً ورقة، اكتشف أن هذا المبلغ سيكون كافيًا لسداد تلك الديون التي كانت تُرهقه طوال تلك السنوات، إلا إن شعور الذنب كان يحاصر قلبه، فقد كان المال مُرسلًا لغرضٍ آخر، لوعد كان قد قطعه على نفسه وقد وعد ابنه به.

رفع رأسه ونظر إلى زوجته، التي كانت تجلس قريبة منه تراقب بعينيها المثقلتين بالهموم، كأنهما تحملان عبء هذا السر، قال لها بهدوء وصوتٍ يملؤه الحزن: "أريدك أن تحفظي هذا السر عني، لقد وضع آدم ثقته بي، لكنني مضطر لاستخدام هذا المال لسداد الديون، سأعترف له، لكن ليس الآن، بعد بضعة أشهر، عندما تستقر الأمور، سأخبره الحقيقة،

سأخبره كيف أن ثقته بي لم تذهب هباءً، ولكن كان علي أن أضع ثقل الديون جانبًا أولًا".

نظر إلى المال أمامه مجددًا، وتنهد تنهيدة عميقة، كأن صدره لم يعد يتسع لكل هذا العبء، كان يتمنى لو يستطيع تحقيق أمانيهما معًا، أن يسدد الديون ويصلح السقف، لكنه يعلم أن الزمن لا يجود دائماً بالخيارات السهلة، مدت زوجته يدها، وضغطت على يده بحنان، وقالت بابتسامة صغيرة، "سيتفهم آدم الموقف، ربما حينها سيعرف كم كانت هذه التضحية ثقيلة عليك".

ثم نظر إلى السقف المتهالك، كأنه يتحدث إليه همساً، واعدًا إياه بأن يصلحه في يوم ما، بعدما تهدأ الأزمات وتتضح الأمور.

وفي مدينه بطرسبورغ جلس آدم في شقته، يتأمل هدفًا جديدًا خطرت فكرته في ذهنه مؤخراً، وبدأ يستشعر حماسته، تذكر جيدًا تلك الأرض التي اضطر والده إلى بيعها من أجله، لتأمين مصاريف دراسته في بلد بعيد، كانت قطعة الأرض تلك تمثل جزءًا من إرث العائلة، قطعة من التراب الذي نشأ فيه آباؤه وأجداده، وبالنسبة لآدم، كانت كرمز لا يُقدر بثمن، يروي قصة التضحية التي قدمها له والده.

قرر في تلك اللحظة أن يعيد الأرض إلى عائلته مهما كلفه الأمر، بدأ يفكر بخطة دقيقة؛ سيتواصل مع المالك الحالي، ويعرض عليه شراء الأرض من جديد، كان يعلم أن الأمر قد يتطلب بضعة أشهر من التوفير والعمل الدؤوب، لكنه كان عازمًا على تحقيقه، بالنسبة له، كانت هذه الأرض هديته القادمة لعائلته، عربون محبة ووفاء لوالده، ودليلاً على أنه لم ينسَ تضحيته.

كانت كلمات والده الأخيرة في رسائله تتردد في ذهنه، كأنها شعلة تشجعه على المُضيّ قُدُمًا في طريقه، يشعر بثقة كبيرة بأن هذه الخطوة هي جزء من رحلته التي بدأها هنا، في الغربة، تابع حديثه إلى نفسه قائلاً: "سأعيد الأرض إلى عائلتنا، وسأرى الفرح في عيني أبي حين يعلم أن تضحياته لم تذهب هباءً، ستعود الأرض إلينا مرة أخرى، وسيعود معها شيء من روح العائلة".

كان لقاء آدم وياسمين الأول في المكتبة، بين رفوف الكتب القديمة وأجواء الدفء التي تحتضن المكان من قسوة شتاء سانت بطرسبرغ القارس، هناك، حيث الصمت يعم المكان، وحيث صوت تقليب الصفحات هو اللغة الوحيدة، كانت نظراتهما تتلاقى كأنها تتحدث بأسرار غير منطوقة، بدأت قصتهما بمحادثات خجولة، كلمسات خفيفة على أطراف

الحكاية التي لم تكتمل بعد، وشيئًا فشيئًا نمت مشاعرهما وسط الهدوء الذي يغلف المكتبة.

بمرور الأيام، أصبح وجود ياسمين في حياة آدم كالشعاع الذي يخترق سحابة شتوية داكنة، كانت ياسمين تحمل في ابتسامتها ما ينسيه قسوة الغربة، وفي عينيها إشراق يخبره أن هناك شيئًا جميلًا يستحق أن يُعاش في هذا العالم، كانا يجوبان شوارع سانت بطرسبرغ، يدا بيد، يتحدثان عن الأحلام، عن الماضي، وعن المستقبل، كانا يضحكان من نسمات البرد التي تلسع وجنتيهما، فيحتمي كل منهما بقرب الآخر، وكأن حضورهما معًا يخلق دفئًا خاصًا لا يعرفه سواهما.

وفي المساء، حين تتلألأ أضواء المدينة، كانا يكتشفان زواياها الخفية، يزوران المقاهي الصغيرة ويجلسان في المقاعد المطلة على النهر، كان آدم ينظر إلى ياسمين وهي تحتسي قهوتها، ويفكر كم أصبحت هذه المدينة مرتبطة بوجودها، كأنها تحوّلت من مكان غريب موحش إلى عالم ينتمي إليه بفضل وجودها، حديثها كان يحمل معه راحة، وضحكتها تشعره بأن للحياة طعماً مختلفاً، أجمل وأعمق، لم يعرفه قبلها.

وبينما كانت الثلوج تغطي الشوارع، وتكسو الأشجار بحلّتها البيضاء، كانا يسيران معًا، يتركان خلفهما آثار خطواتهما على الطرقات المكسوة بالثلوج، وكأنها نقش دائم على ذاكرة المدينة، كان يشعر بأنها جزء لا يتجزأ من حياته، وأن

قصتهما بدأت تتشكل في مكان بعيد عن وطنهما، لكن بالقرب من قلوبهما التي لم تكن تعرف الحواجز أو الحدود.

كانت ياسمين عالم آدم، تعيد إلى قلبه نبضًا جديدًا، وتزرع في حياته حكاية أبدية في شوارع سانت بطرسبرغ التي شهدت أول لقاء، وأول ابتسامة، وأول مشاعر حب خالصة لمست روحيهما بعمق، وربطت بين قلبين تائهين وجدا أخيرًا الأمان في وجود بعضهما.

الغربة تغيّرنا للأبد، تُعيد تشكيلنا ببطء، كأنها تنحت أرواحنا بصبر، تجعلك أقوى مما كنت، فتجد نفسك مضطرًا للتأقلم مع لحظات قاسية، مؤلمة، تجبرك على مواجهة مخاوفك، كل صباح في سانت بطرسبرغ، كان آدم يستيقظ ليواجه وحدته؛ حيث صوت المدينة الغريبة يملأ مسامعه، وبرودة المكان تذكّره كم هو بعيد عن دفء عائلته وأرضه.

رغم كل شيء، لم يسمح آدم لنفسه بالاستسلام، تعلّم أن الاستسلام ليس خيارًا للمغتربين أمثاله، فهم يحملون على عاتقهم أحلامًا ووعودًا قطعوها لأناس تركوهم خلفهم، ومع كل تحدٍّ، كان يستجمع قوته من أعماقه، يُكافح بلا هوادة، يتشبث بالأمل، يتذكر كلمات والدته: "لا تعد كما رحلت".

ولّدت الغربة في آدم شجاعة لم يعرف أنها تسكنه، ودروسًا علّمته أن القوة تأتي من مواجهة الألم، لا من تجنبه.

بعد خمسة أشهر، استطاع آدم جمع مبلغا من المال، كان آدم الذي غادر وطنه حالمًا، قد أضحى رجلاً يخطو خطواته بثبات في عالم لم يكن يعرف عنه شيئًا، بعد ليالٍ طويلة من السهر في المكتبة، ومثابرة لا تلين، وإصرار كالجمر المتّقد في صدره، استطاع آدم أخيرًا أن يجمع المال اللازم لاستعادة قطعة الأرض، قطعة الأمل التي رحل تاركًا إياها وعودًا معلّقة.

في ذلك المساء، لم ينسَ آدم شعور الفخر والخوف المختلط حين رفع هاتفه واتصل بصاحب الأرض، كلمات بسيطة، لكنها حملت معه كل آلام الغربة وتعبها، أخبر الرجل برغبته في شراء الأرض، وأرسل المال بحذر وكأنما يحمل قلبه معها، قال له بصوت هادئ ولكنه واثق: "أريد أن تعود الأرض لوالدي، أخبره أن آدم اشتراها له".

وفي صباح اليوم التالي، كان صاحب الأرض يطرق باب منزل عائلته، يرحب به والده الذي لم يكن يتوقع زائرًا في ذلك الوقت، قال له الرجل بابتسامة حملت في طياتها ألف معنى: "مبارك لك، لقد عادت الأرض لك، ابنك آدم اشتراها لك، وغدًا سنكمل الإجراءات وننقلها باسمك".

رسمت الدهشة ملامح والده؛ سنوات من الكفاح والصبر اختصرتها تلك الكلمات، بين الفرح والخجل والامتنان، وجد والده نفسه عاجزًا عن التعبير، وكأن الكلمات توقفت عند باب

قلبه، لكنه أدرك أن حلمه القديم الذي كاد أن يندثر قد عاد للحياة بفضل ابنه آدم، الذي كان بعيدًا، لكنه قد أهدى عائلته أملًا جديدًا، وترك لهم رسالة صامتة: أنا لم أنسَ، ولم أستسلم.

في صباحٍ هادئ، بينما كانت أشعة الشمس تتسلل بخجل عبر نوافذ بيتهم القديم، رنّ الهاتف في منزل آدم، كان والد آدم يحمل الهاتف بيد مرتعشة، يُقلبه بنظراته وكأن الكلمات ستسقط منه إلى قلبه، محاولًا استيعاب ما سمعه قبل قليل، أخيرًا، وجد شجاعة كافية للاتصال بابنه، ذلك الابن الذي غادر وطنه منذ ثلاث سنوات ليحارب بعيدًا، وهو لا يعلم كم كان يزرع الفرح في نفوس عائلته رغم المسافة.

عندما ردّ آدم، صمت الأب لحظة، لم يجد الكلمات المناسبة، لكن صوته كان مفعمًا بالحب والحياة حين قال: يا بني، كيف أصف لك ما فعلته؟ منذ رحيلك، والبيت كان هادئًا، كأن فرحنا سافر معك، لكن اليوم، حين عاد الرجل يخبرنا أن الأرض عادت لنا بفضلك، عادت لنا الحياة، يا بني".

توقفت الأنفاس لحظة، قبل أن يكمل الأب: "لقد رسمت الفرح على وجوهنا من جديد، أمك كانت ترفع يديها بالدعاء وكأنها تحاول الإمساك بالسماء، تدعو لك بقلبها الذي لم يهدأ من القلق عليك منذ غادرت، وكم هي فخورة بك الآن، وكلّ من رأى وجهها عرف فرحها بك".

ثم ابتسم الأب، وكأنه يرى آدم أمامه، يكمل حديثه بصوت متأثر: "أخوك الصغير يامن، يركض بين الغرف، ويقول لكل من يسمعه: أخي آدم اشترى لنا الأرض! يرفع رأسه معتزًا بك، وكأنك البطل الذي ينظر إليه، وأختك، لا تكف عن ترديد اسمك، تخبر الجيران عن أخيها الذي لم ينسَ وعده ولم ينسَ عائلته".

صمت الأب لحظة، يجمع مشاعره، ثم أكمل: "آدم، ما فعلته ليس فقط بشراء قطعة أرض، بل بقطعة أمل، زرعتها في قلوبنا جميعًا، لقد أثبت لنا أن حبك للعائلة لا يعرف حدودًا، وأن قلبك أقوى من الغربة وأقسى من الفراق، فخورون بك، ولن ننساك في كل دعاء، ننتظر اليوم الذي تعود فيه، بطلًا، ليس فقط بأفعالك، بل بقلبك الذي لم يتركنا أبدًا".

أخذ آدم نفسًا عميقًا، وكأن المسافة بينه وبين عائلته تختفي فجأة في لحظة من الصمت، ثم رد بصوتٍ مفعمٍ بالشوق والقوة، يحمل في طياته كل ما عاناه من أجل هذا اليوم:

"يا أبي، أنت لا تعرف كم يعني لي صوتك الآن في هذه اللحظة، هذا الفرح الذي أسمعه في صوتك وفي كلماتك، هو ما أعيش من أجله كل يوم هنا، كأن كل ما مررت به، كل ليالي الغربة والتعب، قد صار يستحق العناء من أجل أن أزرع هذا الفرح في قلوبكم".

توقف قليلاً، يستجمع مشاعره قبل أن يكمل: "يا أبي، لقد حملتني كلماتك على أجنحة من القوة، وأعدك، بعد عام من الآن، سترى بيتنا الجديد يرتفع على أرضنا، سيكون بيتًا جديدًا، لأحلامنا التي لم تتوقف يومًا، وليكون لأمي ولأخي ولأختي ولكم جميعًا ملاذًا آمنًا".

وأضاف آدم بصوت هادئ لكنه مليء بالإصرار: "أنا هنا بفضلكم، بكل تضحية قدمتموها من أجلي، وبكل صبر تحملتموه معي، وكل نجاح أصل إليه، أراه خطوة لي ولعائلتي، ليس لي وحدي، أنا معكم بكل خطوة أخطوها هنا، قلبًا وروحًا، وكل ما أفعله في هذه المدينة الباردة هو لأجلكم، لنبني غدًا مشرقًا لنا جميعًا".

أنهى آدم حديثه وهو يتخيل ملامح عائلته، الفرح الذي عاد ليملأ البيت، وابتسامة أمه، وفخر أبيه، وبراءة أخته وأخيه، كأنهم معه في قلبه، وقال بصوت مشدود بالأمل: "أنتظر اليوم الذي أعود فيه إليكم، وأكون قد حققت الوعد، لن أنسى.. لأنكم أنتم النبض الذي يجعلني أقوى كل يوم".

في المساء، جلس الأب والأم في زاوية من المنزل؛ حيث كانت رائحة الشاي الساخن تعبق المكان، تملؤه بدفء بسيط يحاول أن يعوض برودة الجدران المتشققة، ينظر الأب للأعلى، إلى السقف القديم المتعب، الذي صار عبئًا يثير القلق

في قلبهما كل ليلة، لكنه اليوم يشعر بالراحة، وكأن همًّا ثقيلاً أزيح عن كتفيه.

بصوت مفعم بالامتنان، بدأ الأب يقول وهو يمسح جبينه: "الحمد لله، آدم لم ينسَ وعده، انظري يا أم آدم، نحن في نعمة كبيرة، منذ سنوات ونحن نحاول جاهدين أن نسدد ديوننا، وكل مرة كان السقف يذكرنا بضعفنا، ولكن اليوم، عادت الأرض، وعاد معها الأمل، آدم سيبني لنا بيتًا جديدًا، بيتًا نستظل فيه بكرامة".

أجابته الأم بقلق يطفو على ملامح وجهها: "لكن، ماذا لو انهار السقف علينا قبل أن يعود آدم؟ لا أريد أن نخاطر، وأنت تعرف أن حال السقف سيء جدًا".

ابتسم الأب بثقة، واضعًا يده في يدها ليطمئنها، وقال بهدوء: "لا تخافي، سيكون كل شيء بخير إن شاء الله، وقد رزقنا الله بابن بار مثل آدم، لا ينسى عائلته رغم بعده ومعاناته في تلك البلاد الباردة، لقد ضحى من أجلنا، وأرسل لنا الأمل من جديد، قال: إنه سيبني لنا بيتًا، وأنا أثق به، سنصبر قليلاً، وبإذن الله سيكون لنا بيتٌ نعيش فيه بأمان".

تعلو في عيني الأم دمعة حارة، خليط من الفرح والقلق، ثم قالت: "أنت تعلم أن كل ما أتمناه هو أن أرى آدم يعود، وأراه

سعيدًا بما حققه لنا ولأخيه وأخته، أن يعود ليجدنا بأمان تحت سقف ثابت".

ابتسم الأب وهو يضع يده على كتفها بلطف: "سيعود، وسيجدنا بانتظاره، وبيتنا سيُبنى على يديه، تلك الأيام الصعبة ستصير ذكرى، ولن نخشى السقف بعد اليوم، لن نخشى الفقر ولا الحاجة، آدم وعد، وأنا واثق أن وعده سيصبح حقيقة، لننعم بهذه اللحظة، ونشكر الله على نعمته.".

بعد لحظة من الصمت وتأمل عميق، قال الأب بصوت خافت وكأنه يبوح بسر ثقيل:

"لكن، يا أم آدم، احفظي هذا الوعد بيننا، آدم يعتقد أننا رممنا السقف القديم، لقد أخبرته أننا استخدمنا المال الذي أرسله لنا لأجل ذلك، لم أرد أن أثقل عليه بالقلق أكثر وهو بعيد في غربته، يكافح من أجلنا، كل ما يهمه الآن أن يعرف أننا بأمان.. فلا تخبريه".

نظرت الأم إلى زوجها بقلق، وانعكست دموعها في عينيها المرهقتين من طول الانتظار، وقالت بصوتٍ مشوبٍ بالتردد: "ولكن، ماذا لو اكتشف الأمر؟ آدم لديه قلب حساس، لن يسامح نفسه إن شعر أنه قصّر في حقنا، حتى لو لم يكن بيده شيء آخر، أنت تعلم أنه يعمل ليل نهار في سبيل أن يخفف عنا".

ابتسم الأب بطمأنينة وحنان، ووضع يده على كتفها قائلاً: "لهذا السبب علينا أن نحميه من هذا الشعور، يا أم آدم، ما نفعله الآن هو حفاظًا على راحته، لا أريد أن يشعر بأنه لم يفعل كفايته، بينما الحقيقة أنه يفعل أكثر مما نتوقع وأكثر مما نستحق، لقد رفع رأسنا، وأعاد لنا الأرض، هذا وحده كافٍ ليعطينا الصبر والقوة، وسنصبر قليلاً، والله لن يخذلنا".

أومأت الأم برأسها، ثم قالت بصوت هادئ لكنه مشوب بامتنان عميق: "نعم، سنصبر وندعو الله أن يحفظه لنا، ويرده إلينا سالمًا، ويرى بعينيه ما حققه من أجلنا، عسى أن يكون بيتنا الجديد تحت سقفٍ آمن، وسقف محبة، جمعته لنا تضحيات آدم".

نظر الأب إلى السقف القديم مرة أخيرة، وقال وهو يتنفس الصعداء: "سيكون لنا بيت جديد، يا أم آدم، أعدك بذلك، وأعد آدم.

آدم : بينما كنت جالسًا في شقتي الصغيرة، أتأمل تفاصيلها التي أصبحت أحبها كأنها ملاذي، وجدت نفسي غارقًا في أفكاري، أستعرض مسار حياتي منذ وصولي إلى هذه المدينة الغريبة، كان إحساسًا بالدفء يغمرني؛ شعرت حقًا أنني قد وجدت السعادة هنا، وأنني أصبحت قويًا ومكتفيًا، لم يعد المال عقبة أمامي، بل أصبح مجرد وسيلة أخرى لتحقيق طموحاتي.

كنت أعمل بجد، وأعيش حياة متوازنة وهادئة، شعرت فيها أخيرًا بأنني أصبحت أملك زمام الأمور، كنت متفوقًا في جامعتي، وفخورًا بنجاحي الدراسي، ورأيت أثر ذلك في نظرات الاحترام من أساتذتي وزملائي، إلى جانبي كانت ياسمين، صديقتي التي لم تتركني لحظة، وكأنها الروح التي تضيء دربي، تشاركني الضحكات والأحاديث العميقة، وتجعل كل يوم في حياتي أكثر بهجة.

وأنا جالس في شقتي، لمعت في ذهني أحلام كبيرة؛ رأيت نفسي أولاً أبني منزلًا جديدًا لعائلتي، منزلًا يليق بهم ويعوضهم عن سنين التعب والحرمان، ثم راودتني فكرة افتتاح مشروعي الخاص هنا في المدينة؛ تخيلت مقهىً دافئًا يعج برائحة القهوة والكتب، حيث يمكن للناس أن يجدوا هدوءًا واستراحة من صخب الحياة، وربما أضيف إليه مكتبة صغيرة تضم كتبًا من كل العالم، بل وأكثر من ذلك، حلمت أيضًا بفتح مطعم صغير، يجمع بين مذاقات شرقية أصيلة ونكهات هذه المدينة، كجسر ثقافي يجمع الشرق والغرب.

لم أكن أستطيع إبعاد فكرة الزواج من ياسمين عن مخيلتي؛ تخيلت حياتي معها، وحلمت ببيت دافئ يجمع بيننا، نمضي فيه أيامنا جنبًا إلى جنب، نبني عائلتنا ونحقق أحلامنا معًا.

نعم، الآن أشعر أنني بخير حقًا، إنني في المكان الذي طالما سعيت للوصول إليه.

وقفت حنين؛ والدة آدم أمام الأرض، تتأمل البيت القديم الذي كان مأوى أيامهم ومأوى ذكرياتهم، تنظر إلى الجدران المتشققة، والأبواب التي أغلقت بوجه الرياح الباردة، تشعر بنبضات قلبها تتسارع، كما لو كانت تتصارع بين فرحة بنجاح آدم وألم أعمق ينغرس في صدرها، نعم، نجح آدم، ابنها الذي وضعت عليه آمالها، وأصبح حلمها فيه حقيقة، لكن وسط كل هذا الانتصار، كان هنالك شعور يخبرها بأن الطريق أمامهم لا يزال مليئاً بالتحديات.

الشتاء يقترب بخطى ثقيلة، والبيت، الذي نجا من صيف حارق وربيع عاصف، هل سيصمد أمام عواصف الشتاء؟ لا أملك إلا أن أدعو الله في سري أن يبقى شامخاً ولو قليلاً، حتى نجد ملاذاً بديلاً، حتى تنقضي هذه الأوقات الصعبة التي لم تُهلكنا بقدر ما علمتنا الصبر والجلد.

اختار أبو آدم ألا يخبر ابننا بحقيقة ما حدث، كان يعلم أن آدم يستحق فرحة النجاح بلا شوائب، فأخفى عنه اضطراره لاستخدام المال لسداد الديون القديمة التي لطالما أرخت بظلالها علينا، أعلم أن قلبه، مثل قلبي، مثقل بهذا السر، ولكنه يعرف أيضاً أن هذه التضحية كانت لآخر مرة.

أمسك بيدي حفنة من التراب، أستشعر برودتها لكنها تبعث في روحي دفئاً مختلفاً، دفء الأمل، نعم، بدأت حياتنا تتغير، بفضل الله ثم بفضل آدم، هنا، في هذه الرقعة التي أحاطتها

أحلامي لسنوات، سنعيد بناء بيت جديد، بيتاً من قوة وعزم، يشبه حلمي الذي لم ينطفئ أبداً، سنزرع محاصيلنا هنا، ونرى الأرض تفيض بكرمها علينا، وسيبدأ دخلنا في التحسن يوماً بعد يوم، أخيراً، سنبني حياة تليق بتضحياتنا، حياة تستحقها هذه الأرض التي طالما انتظرت زرعنا وصبرنا".

بدأت رياح الشتاء الباردة تهب، كأنها نذير شؤم يُعلن أن هذا الشتاء لن يكون هادئاً، كانت الرياح تصفّر في أرجاء البيت، تشدُّني إليها وكأنها تهمس لي بمصيرٍ قاتم، أسمع طقطقة السقف المتداعي مع كل هبة ريح، وكأنما الجدران تئن تحت ثقل البرد والمطر القادم، وأنا عاجزة عن فعل شيء، لا أملك إلا الدعاء والصبر.

كلما اشتد الصوت في الليالي المظلمة، شعرت برعب يغمر قلبي، وخيالات سقوط البيت تطاردني، أدرك أن هذا السقف الواهن هو آخر ما يحمينا، وأن مجرد ليلة عاصفة قد تكون كافية لإسقاطه فوق رؤوسنا، أحاول أن أهدئ نفسي، أن أواسي نفسي بفكرة أن البيت قد صمد في الشتاءات السابقة، لكن قلبي لم يهدأ، وروحي لم تجد الطمأنينة.

أتمنى لو أملك وسيلة لحمايته، لإبعاد هذا الخطر عن عائلتي، لكنني لا أملك سوى الأمل، الأمل بأن يمر هذا الشتاء كما مر غيره، وأن يصمد هذا البيت أمام العواصف حتى نستطيع بناء شيء أقوى، يأوينا ويحفظنا".

آدم: مرت الأيام ببطء، وكنت أشعر بثمرة جهدي أخيرًا تتحقق، النجاح بدأ يظهر في حياتي، كنت أعيش في عالم جميل، عالم كنت أحلم به دائمًا، عالم مليء بالأمل والفرص، لكن ذلك المساء، حين كانت السماء مغطاة بالغيوم، كان مختلفًا، كان الهواء باردًا بشكل غير طبيعي، وكأنما الرياح نفسها كانت تحاول أن تهمس لي بشيء لم أكن أريد سماعه، كنت برفقة ياسمين، روح طيبة لا يشبهها أحد، كنا نسير معًا في شوارع المدينة، نتبادل الحديث والضحك، وكأن العالم يتوقف حولنا، كانت تلك اللحظات، رغم البساطة، تحمل سحرًا خاصًا.

ذهبنا إلى محطة الحافلات، حيث كان الناس يختبئون من البرد القارس، لكن الطقس كان شيئًا أكثر من مجرد برودة، كانت الرياح تعصف بالأشجار وتدور حولنا، تهمس بأصوات غريبة كما لو كانت تحذرنا من شيء، شعرت بشيء غريب في أعماقي، شعور غير مريح، شيء يضغط على صدري ويشعرك بأن كل شيء على وشك الانهيار، جلست بجانب ياسمين، وأنا أحاول إقناع نفسي أنني أفرط في التفكير.

دخلنا الحافلة، والبرد كان يزداد قسوة، وحين بدأ المحرك بالتحرك، شعرت بشيء ثقيل في الجو، وكأن الزمن نفسه يتباطأ، وكأن الأرض تحتنا ترتجف، فجأة، بينما كانت الحافلة تسير على الطريق الجليدي، شعرنا جميعًا بهزات مفاجئة،

وسرعان ما تحول كل شيء إلى فوضى، كانت الحافلة تنقلب بنا ببطء، وكأنها تستجيب لصوت الرياح العاتية التي كانت تلاحقنا، وكأنما كانت الحياة نفسها تحاول أن تُظهر لنا هشاشتنا وضعفنا، وأننا لا نملك السيطرة على شيء.

الشعور بالألم كان متسارعًا، كان يشق جسدي كما لو أن الأوجاع تطعنني من الداخل، كنت أسمع صرخات الركاب من حولي، لكنني كنت غارقًا في بحر من الألم والوهن، حاولت أن أتحرك، ولكن جسدي كان ثقيلًا، لا أستطيع أن أحرّك يدي أو قدمي، كنت أرى ياسمين أمامي، فاقدة الوعي، عينيها مغلقتين تمامًا، وأنا عاجز عن فعل أي شيء لها، كانت عيون الركاب تملؤها الفزع، لكني كنت غارقًا في حالة من العجز التي كانت تبتلعني، وفي لحظة واحدة، بين صرخات العالم من حولي، شعرت بشيء آخر: الفراغ، ثم جاء السكون، وعيني تغلق شيئًا فشيئًا، حتى غمرني الظلام بالكامل، وغاب عني كل شيء.

بعد لحظات من الظلام الذي أغشي على عيني، بدأت الأصوات تتلاشى تدريجيًا، ليحل محلها صمتٌ غريب، شعرت بأصوات خطوات، وكأنها تأتي من بعيد، تتسارع شيئًا فشيئًا، وتقترب مني، كان الضوء يخترق عيني بصعوبة، وفجأة تذكرت أنني كنت في الحافلة، ولكن لا شيء حولي كان

يبدو حقيقيًا، كنت في حالةٍ ضبابية، عقلي مشوش، وأحاسيسي تتنقل بين الواقع والحلم.

ثم شعرت بيدٍ تلامس جبهتي، وأصوات صارخة حولي، كانت الأصوات عالية، ممتزجة بقلق وصراخ الأطباء، تبين لي بعد ذلك أن الكوادر الطبية قد وصلت أخيرًا إلى مكان الحادث بعد دقائق طويلة من الانتظار، كانت المنطقة قد تحولت إلى ساحة فوضى، حيث كان رجال الإطفاء والإنقاذ يعملون بلا توقف في محاولة لإنقاذ المصابين، كانوا يعطون الأولوية للأشخاص الأكثر تأثرًا بالحادث، ومع كل دقيقة كانت العناية الطبية تتسارع.

تم نقلنا جميعًا إلى سيارات الإسعاف بسرعة، وأثناء الطريق إلى المستشفى، كنت أشعر وكأنني أُسحب من عالمٍ إلى آخر، الألم كان يعصف بي، وكل حركة كانت تشدني إلى الهاوية، كنت أسمع أنفاسي المتسارعة، وأرى الوجوه المليئة بالقلق، ولكن شيئًا واحدًا كان يشغل عقلي: ياسمين، كانت فاقدة الوعي، وجسدها لا يتحرك، حاولت أن أركّز، لكن الظلام كان يزداد حولي.

عندما وصلنا إلى المستشفى، كان قسم الطوارئ يعج بالمصابين، والأطباء يتراكضون هنا وهناك، كان الجميع يعملون بكفاءة، ولكن الوضع كان أكثر تعقيدًا مما توقعوا، تم نقلنا جميعًا إلى غرفة الطوارئ، حيث بدأ الأطباء في فحص

حالتنا، كان الوضع بالغ الصعوبة: إصابات متعددة على مستوى الجسد، وكدمات وكسور في أماكن عدة، وحالة من التسمم البسيط نتيجة تعرضنا للهواء البارد لفترة طويلة.

بعد سلسلة من الفحوصات والأشعة، بدأ الأطباء يشرحون الوضع لي، قال أحدهم، وهو ينظر إلى تقارير الأشعة: "أنت مصاب بكسر في الضلوع وبعض الإصابات في الرأس، بينما حالتها (في إشارة إلى ياسمين) أكثر تعقيدًا، هناك إصابات في العمود الفقري، وبعض الكسور الحادة في الأطراف، إذا قدر الله لك النجاة، فإن الأمر سيحتاج إلى أشهر من العلاج، وربما فترة طويلة من التأهيل".

كان وقع كلماتهم كالصاعقة على عقلي.. أشهر؟ العلاج الطويل؟ لقد كنت أتمنى أن يكون كل هذا مجرد حلم، لكن مع كل كلمة نطقها الطبيب، كنت أشعر أن الواقع يزداد مرارة، كانوا يسعون لإبقائنا في حالة مستقرة، ولكن كانت إصاباتنا تتطلب الكثير من الوقت والرعاية.

تم نقلنا إلى أقسام مختلفة في المستشفى، حيث كانت ياسمين في حالةٍ حرجة، وأخبرني الأطباء أنه لا يمكنهم تحديد مدة العلاج بدقة، لكن من المؤكد أن الأمر سيكون طويلًا جدًا، وبالنسبة لي، كان العلاج جسديًا أكثر، لكن في أعماقي كنت أحتاج إلى الشفاء النفسي، فقد كنت أشعر بالعجز، وبأن كل شيء كان ينهار من حولي.

حينها دخل مدير المستشفى، الذي كان قد تلقى تقريرًا من الأطباء في الجامعة، حيث كانوا يراقبون الحالة عن كثب، قال بلهجة هادئة، ولكن مع بعض التوتر: "الجامعة تتابع وضعكما، نعلم أن هذا الحادث كان مؤلمًا، ولكن الأطباء سيبذلون كل ما في وسعهم من أجل راحتكما" كانت كلماته تعكس القلق، رغم أنه كان يحاول أن يبعث فينا بعض الأمل.

أنا وياسمين كنا في وضعٍ لا نُحسد عليه، وفي تلك اللحظة أدركت أننا لم نعد فقط نواجه الألم الجسدي، بل كنا نواجه تحديات جديدة في حياتنا، ولم أكن أعرف ما الذي ينتظرني في الأيام القادمة، لكنني كنت أعلم أن الطريق أمامنا سيكون طويلاً، مليئًا بالتحديات والألم، وأن النهوض من هذا السقوط لن يكون سهلاً.

مرت ثلاثة أشهر منذ الحادث، ولكن بالنسبة لعائلة آدم، كانت تلك الأشهر أشبه بعمرٍ كامل، كان الشتاء قد بدأ يفرض سيطرته على المدينة، وكل شيء كان يتحول إلى اللون الأبيض، الثلوج تتساقط بلا توقف، والهواء بارد لدرجة أنه كان يخترق العظام، ولكن البرد لم يكن هو ما كان يثير الخوف في قلوبهم؛ بل كان غياب آدم، وانقطاع الاتصال به الذي طال بشكل مخيف، هو ما كان يطارد أفكارهم.

كانت والدته، حنين، تجلس في الزاوية المظلمة من المنزل، تنظر إلى الصور القديمة التي كانت تملأ الجدران، تبحث في

عينيه عبر الصور عن إجابة، عيناه في الصورة كانتا تنبضان بالحياة، بدتا الآن كأشباح، وكأنما الزمن قد مسح تلك الألوان الزاهية التي كانت تملأهما، في كل مرة تلتقط فيها صورة من صورته، كان قلبها يتمزق أكثر، وتغرق في صمتٍ مخيف، "أين هو؟" تساءلت بصوتٍ منخفض، رغم أن الإجابة كانت تعرفها جيدًا، لكنّ الغموض الذي يلف غيابه يجعل الأسئلة تتسارع، ويحول الأمل إلى قلق مستمر.

والده، يوسف، كان في حالٍ مشابهة، ولكنه كان يحاول أن يظهر قوته، رغم أنه كان يفقدها ببطء، كان يقف أمام نافذة المنزل، يراقب تساقط الثلج في صمتٍ قاتل، لم يكن يهتم بالبرد الذي كان يخترق جسده، بل كان عقله مشغولاً في مكان آخر.

"أين هو؟" كان يسأل نفسه، والجواب يبقى غامضًا، حزن عميق كان يغمره، ولكنه حاول أن يظهر أمام العائلة كمؤمن بالأمل، رغم أن قلبه كان ينهار من الداخل، كان يمر بالكثير من الليالي التي لا ينام فيها، يراجع كل التفاصيل في ذهنه عن الحادث، وكيف حدث كل شيء فجأة، وكيف اختفى آدم، وكأنما ابتلعته الأرض.

أما أخته، سارة، فكانت تسير في المنزل كالشبح، صامتة، وعينها لا تفارق الهاتف، تنتظر أي مكالمة، أي خبر، حتى لو كان مجرد إشاعة، كانت ترفض تصديق أن آدم قد اختفى،

كان يجب أن يكون في مكانٍ ما، وكانت تأمل أن يعود فجأة، كما لو أن كل ما مر به كان مجرد كابوس، لكن في أعماقها، كانت تعرف أن الحقيقة أبعد من ذلك بكثير، وأن الغياب المتواصل هو شيء لا يمكن تجاهله، كانت تتخيل دائمًا أن تقف أمامه مرة أخرى، أن تراه يعود إلى المنزل بابتسامته المعتادة، لكن الأيام كانت تمر، والشتاء القارس كان يشتد، وكان الخوف يزداد في قلوبهم.

الأيام الطويلة كانت تمر ببطء، والعائلة تغرق في صمت، يحاولون أن يملؤوا هذا الفراغ بأي شيء، ولكن كان هناك دائمًا شيء ناقص، لم يكن بإمكانهم تجاهل غياب آدم، ولم يكن لديهم أي فكرة عن مكانه، وما إذا كان على قيد الحياة أم لا، كان كل يوم يمضي دون أي أثر منه، يضيف المزيد من القلق والتساؤلات.

كان غياب آدم هو السر الذي لا يستطيعون فهمه، وكانوا يعيشون في حالة من الانتظار المستمر، وكأن الحياة كلها توقفت منذ اختفائه.

كانت الليلة باردة لدرجة غير طبيعية، وكأن الصقيع قد تسلل إلى الأعماق، ليس فقط عبر النوافذ المشروخة، ولكن عبر العظام نفسها، الثلوج كانت تتساقط بكثافة، تغطي الأرض بسرعة كما لو كانت تحاول إخفاء أي أثر لحياة ماضية، الرياح كانت تعصف بالعالم الخارجي بعنف، تصفّر في

الشوارع الفارغة، وتضرب الجدران كأنها تقذفها بحجارة صغيرة، كانت تلك الأصوات، الخافتة في البداية، تتعالى شيئًا فشيئًا، تتحول إلى شكاوى عميقة في الظلام، وكأنها تحذرهم من شيء غير مرئي، شيء يقترب.

داخل المنزل كان الوضع أقل صخبًا، لكنه لم يكن أقل قسوة، كان الجميع يجلسون حول المدفأة القديمة التي تفتقر إلى الحرارة الكافية، كأنها هي الأخرى قد قررت أن تقاوم البرد الشديد، حنين، الأم الحزينة، كانت تجلس على المقعد الخشبي بالقرب من المدفأة، تحدق في النار المشتعلة، لكنها كانت لا ترى سوى خيالات ماضيها في اللهب المتراقص، عيناها كانتا غائرتين، تحملان مزيجًا من الحزن والخوف الذي لا يمكن التخلص منه، كانت أنفاسها تخرج ببطء، كما لو أن الهواء نفسه أصبح ثقيلًا على صدرها.

يوسف، الأب، كان جالسًا في الزاوية، يحدق في الجدران المظلمة التي كانت تكاد تبتلع المكان، كما لو كان يحاول إخفاء نفسه في الظلال، وجهه كان شاحبًا، ملامحه مشدودة من أثر القلق، ولكن عينيه كانتا فارغتين، وكأنهما فقدتا القدرة على الرؤية منذ فترة، أفكاره كانت تتنقل بين الماضي والحاضر، بين الحادث الذي غيّر حياتهم إلى الأبد وبين صورة ابنه آدم الذي لم يعد يراه، كان يحاول أن يبدو قويًا

أمام عائلته، لكنه في أعماق نفسه كان منهارًا، كما لو أن كل ما تبقى له من أمل قد تلاشى مع غياب آدم.

سارة، شقيقة آدم ، كانت جالسة على الأرض بالقرب من المدفأة، عيناها تتنقلان بين صفحات الكتاب الذي كانت تحمله، ولكن عقلها كانت في مكان آخر، كان الكتاب مجرد واجهة لصدمة داخلية أكبر من أن تقدر عليها، كانت تتمنى، بكل جزء في كيانها، أن يعود أخوها آدم، كانت تبتسم في ذهنها وتتخيل عودته، كما لو أن الأيام ستعود إلى ما كانت عليه، لكن في داخلها، كان هناك شك، وكانت الأيام تمر، وكل يوم يمضي دون أخبار، دون رسائل، كان يعمق هذا الشك ويزرع الخوف في قلبها، ومع كل لحظة، كانت تدرك أن أملها بدأ يتبدد، ولكنها كانت تخاف من الاعتراف بذلك.

ثم جاء الصوت الذي اخترق كل شيء، كان في البداية خافتًا، ثم ازداد شدة، تشقق عميق، تلاه صوت اهتزاز قوي في الجدران، وعندما بدأت الأرض تحتهم تهتز، شعروا بها في أعماقهم، وكأنها صدمة تأتي من باطن الأرض، قبل أن يفهموا ما يحدث، كان الصوت الذي أعقب تلك الهزّة مدويًا، صوت خشب يتشقق، أسطح حديدية تلتوي، ومواد بناء تتصدع كما لو أن منزلهم كله كان يتنفس بآلامه.

انفجر السقف فجأة، وكان الانهيار سريعًا وقويًا، في لحظات، بدأت القطع الخشبية الضخمة تتساقط من الأعلى، يرافقها

حطام من الأسطح الخرسانية والألواح المتكسرة، كانت الجدران تتناثر كقطع من الزجاج، وكأنها تنهار لتبتلع كل شيء في طريقها، كان الصوت يشبه الزلزال، لا يمكن تحمله، وكأن الجبال نفسها كانت تنهار فوقهم، في تلك اللحظة، لم يكن هناك أي مجال للهرب.

حنين، التي كانت تجلس في الزاوية القريبة من المدفأة، حاولت الوقوف، ولكن الحطام كان ينزل فوق رأسها، كانت تحاول أن تصل إلى سارة، ولكن السقف انهار على رأسها قبل أن تستطيع الحركه، يوسف، الأب، الذي كان جالسًا في الزاوية الأخرى، حاول التوجه إلى حنين، لكن الألواح الخرسانية سقطت عليه فجأة، وحالت بينه بين فعل شيء، حاول أن يصرخ، لكن الحطام كان قد قطع أنفاسه.

أما سارة، فقد كانت تحاول الهرب، لكن الألواح الثقيلة قد سقطت أمامها، وأغلقت طريقها بالكامل، عيناها كانتا مليئتين بالذعر، كانت ترى الشظايا تتطاير حولها، وكانت تشعر بالألم في كل جزء من جسدها، حاولت أن تجد أي فرصة للهرب، لكن الوقت كان يتسارع بشكل لا يصدق، والأرض كانت تهتز بشدة تحت قدميها، وفي لحظة واحدة، كان كل شيء قد انتهى، السقف، الذي كان يحميهم، قد تحطم بشكل كامل، ليغمرهم جميعًا في الظلام.

وفي تلك اللحظة، لم يعد هناك سوى صوت الانهيار وكأن الزمن قد توقف، وحياة العائلة قد انتهت في غمضة عين، غمرهم الظلام، ولم يعد شيء آخر سوى الصمت الذي حل في كل زاوية من المنزل.

عندما وصل رجال القرية إلى المنزل المدمر، كانت الرياح تعصف بالثلوج بكثافة، تغطي الأرض وتزيد من صعوبة الحركة، كانت السماء قد بدأت تميل إلى السواد، كأن الليل يأتي مبكرًا، وزمهرير الشتاء يضغط على أنفاسهم، لكن قلوبهم كانت مليئة بالأمل، كانوا يعرفون أن الوقت ثمين، وأن العائلة لا بد أنها في خطر.

تسابق عدد من الرجال صوب المنزل، حاملي الأدوات البدائية: معاول، فؤوس، سلاسل، وكل ما كان في متناول أيديهم لمحاولة رفع الحطام، كانوا يصرخون بأسماء العائلة: "حنين! يوسف! سارة!" لكن أصواتهم كانت تائهة في الرياح، كما لو أن الأرض نفسها ابتلعت تلك النداءات.

وما إن اقتربوا من المنزل حتى أصيبوا بصدمة عنيفة، كان السقف قد انهار بالكامل، وحوّل المكان إلى كتلة من الحطام المهدم، جدران المنزل مكسورة، والأثاث قد تمزق وأصبح كقطع من خشب متناثر، قطع كبيرة من الخرسانة كانت ممتدة هنا وهناك، مغطاة بالثلوج، وكانت الأرض تهتز تحت ثقل الحطام الذي استمر في التساقط.

بدأ الرجال يعملون بسرعة، محاولين رفع الألواح الثقيلة التي كانت تغطي كل شيء، كانت الفوضى العارمة تعم المكان، ومن شدة البرد، كانت أطرافهم تتجمد، وأيديهم ترتعش، لكن الأمل في إنقاذ العائلة كان يدفعهم للاستمرار، كانوا يعملون بلا توقف، كأنهم يتنافسون مع الزمن، لكنهم شعروا بالعجز يتسلل إلى صدورهم مع مرور كل دقيقة، كانت الأنقاض ضخمة، والحطام عميقًا، والوقت يمر بشكل أسرع مما كانوا يتوقعون.

كان بعضهم يحاول رفع قطع الأثاث المكسورة، وآخرون كانوا يركزون على تفحص الركام بعناية، يحاولون أن يجدوا أي صوت أو حركة، كلما كانوا يرفعون قطعة، كانوا يصرخون بأعلى صوتهم: "حنين! يوسف! سارة! يامن " لكن الإجابة كانت صمتًا قاسيًا.

ثم جاء رجل مسن من القرية، يعرف كل زاوية في هذا البيت، وكان يتمتع بحكمةٍ وخبرة في التعامل مع الأنقاض، بدا أنه كان أكثر هدوءًا، وكأنه يعي حجم الكارثة، لكنه لم ييأس، توجه نحو الزاوية التي كانت مأهولة بالأثاث المحطم، وبدأ بإزاحة بعض القطع الثقيلة باستخدام عصا كبيرة، كان يتنفس بصعوبة، لكن عزيمته كانت أكبر من أي شيء آخر.

وبينما كان يعمل مع الآخرين، اكتشفوا أولى الجثث، كانت حنين ملقاة على الأرض، وجهها مغطى بالغبار، وعينيها

مفتوحتين، ملامحها ثابتة وكأنها كانت في حالة صدمة عند اللحظة الأخيرة، كانت يداها متورمتين، وكأنها كانت تحاول الوصول إلى شيء ما قبل أن يسقط عليها السقف.

ومع كل جثة أخرى يعثرون عليها، كانوا يشعرون بثقل في صدورهم. كانوا يعلمون أن الوقت قد فات، كانت كل محاولة لإنقاذهم قد أصبحت مستحيلة، يرفرف الهواء البارد من بين الأنقاض، والرجال يرفعون القطع الثقيلة دون أن يوقفوا عملهم، على أمل أن يجدوا من نجا، ولكن في أعماقهم، كانوا يعرفون أن الحقيقة قد ظهرت بوضوح.

مرت الدقائق ببطء، بينما كانت الأيدي تتسابق وتكشف عن المزيد من الحطام، لكنهم كانوا يحفرون في اليأس، لم يجدوا أي أثر للحياة، كان الصمت يلف المكان مع كل جثة يرفعونها، وكل واحدة منهم كانت بمثابة آخر أمل يتناثر في الرياح.

وفي تلك اللحظة، بدا أن الوقت قد توقف، لم يعد هناك شيء يمكن أن يعيد العائلة، استمرت العاصفة، والقرية بكاملها تغمرها مشاعر الحزن العميق، وكان الرجال يرفعون رؤوسهم إلى السماء البعيدة، يتساءلون عما كان بإمكانهم فعله لإنقاذ تلك الأرواح الطاهرة التي غادرت دون وداع.

آدم : بعد أربعة أشهر من دخول المستشفى، بدأ آدم يستعيد وعيه تدريجيًا، وكأن عقله كان يطفو على سطح الوعي ببطء، حيث كانت آلام جسده تعود إلى ذاكرته بقوة، فتح عينيه بصعوبة، ليجد نفسه في غرفة مستشفى باردة، كان السقف الأبيض يعكس الضوء الباهت، ورائحة المستشفى الثقيلة تسلل إلى أنفه، شعر بشيء من الارتباك؛ كان لا يزال غير قادر على استيعاب ما حدث.

حاول تحريك يديه، لكنه شعر بألم شديد في جسده، وكأن كل جزء منه يعاني، خصوصًا في قدميه، كان الألم يشتد في ساقيه، وأصابعه كانت متورمة، بدا أن جسده بحاجة إلى وقت طويل للتعافي، حاول أن يستجمع أفكاره، فتذكر حادث الحافلة، ولكن الصور كانت مشوشة، وكأن الذاكرة غير قادرة على الاحتفاظ بتفاصيل اللحظات الأخيرة.

هاتفه، كان أول ما بحث عنه بعينيه، أمسك بالغطاء بيد ضعيفة، وراح يفتش حوله، لكنه اكتشف أنه مفقود، "أين هو هاتفي؟" همس لنفسه، محاولًا فهم ما يحدث، لكنه شعر بالضياع التام، نظر حوله، وجد نفسه وحيدًا في الغرفة، كانت كل الأدوات الطبية وأجهزة المراقبة حوله، لكن لا شيء كان يشير إلى وجود ياسمين.

سأل بصوت منخفض، محاولًا جمع ما تبقى من تركيزه: "أين هي ياسمين"؟

ابتسم الطبيب الذي كان يراقب حالته، لكنه لم يكن يبدو مستعدًا لإعطاء أخبار جيدة، "ياسمين في غرفة أخرى، يا آدم، وما زالت فاقدة للوعي" كانت الكلمات قاسية، ولكنها تحمل في طياتها تلميحًا لحالة ياسمين الحرجة.

تدافع السؤال في رأسه، وأعاد التفكير في الماضي: "لقد كنت فاقد الوعي طوال هذه المدة" همس آدم لنفسه، وهو يحاول إدراك حقيقة الوضع، لم يكن يستطيع تذكر سوى لحظات من الحادث، وبعض اللحظات عندما وصل إلى المستشفى.. لكنه تذكر مدير جامعته الذي وعده بمتابعة حالته.. وكأن الحياة قد توقفت فجأة.

"أربعة أشهر؟" سأل بصوت غير مستوعب، وعيناه تتسعان من الدهشة، في حين كانت الذكريات تتسلل ببطء إلى عقله.

الوقت.. كان قد مر بسرعة، بينما هو في غيبوبة عميقة، وعقله يدرك أنه فقد شيئًا ثمينًا، "اللعنة! لم أرسل المال لعائلتي!" كانت تلك الكلمات تتردد في ذهنه بشكل مؤلم، كان يفكر في والدته، التي كانت دائمًا تذكّره بأهمية مساعدتها ماليًا، ولكن الآن، ماذا لو كان الوقت قد فات؟ هل كانت العائلة بحاجة إليه الآن؟ ماذا لو لم يعد لديه الوقت لفعل شيء؟

حاول أن ينهض من السرير، ولكن قدماه كانت تؤلمه بشدة، كانت الحركة صعبة، والآلام في جسده تجعل كل حركة

مؤلمة بشكل لا يطاق، استند على ذراعيه في محاولة منه للقيام، لكن الألم في ساقيه كان يوقفه في كل مرة، "يجب أن أذهب! يجب أن أرسل المال"! همس بينه وبين نفسه، ولكن جسده كان يرفض الاستجابة، كان يشعر بالعجز الشديد، وكأن الزمن قد هرب منه وهو عالق في مكانه.

نظر إليه الطبيب بلطف وقال له بصوت هادئ: "أنت بحاجة إلى بعض الوقت يا آدم، قدماك مكسورتان، وهناك إصابات أخرى في جسدك، وتحتاج إلى الراحة الكاملة لتتعافى" كانت كلمات الطبيب هادئة، لكنها ثقيلة في أذنه، كانت الحقيقة واضحة، لكنه كان يرفضها في داخله، كان يطمح إلى النهوض، إلى العودة إلى عائلته، ولكن جسده كان يأبى أن يتحرك.

تساءل آدم في نفسه، وهو ينظر إلى السقف الأبيض، في محاولات يائسة لفهم ما حدث، كان يعلم أن الشفاء لن يكون سهلاً، وأن الوقت لن يعود، ولكن رغم كل شيء، كان يصر على النهوض.

"كل شيء يحتاج إلى وقت" همس الطبيب، وهو يراقب حالة آدم بعناية، كانت تلك الحقيقة الواضحة التي لم يستطع آدم إنكارها.

بعد مرور شهر كامل من تلقي العلاج، بدأ آدم يشعر بتحسن كبير في حالته، ببطء، استطاع أن يتنقل بين أرجاء المستشفى، رغم الألم الذي لا يزال يعتصر جسده في بعض الأحيان، كان بإمكانه الآن التحرك بشكل أفضل، وتجاوز مرحلة الخطر، لكن شيئًا واحدًا كان يشغل ذهنه بشكل مستمر: عائلته وهاتفه المفقود، كانت ياسمين ما زالت في غيبوبة، حالتها كما هي، والقلق بشأنها يثقل قلبه، لكن الشعور بالعجز عن فعل أي شيء كان يؤلمه أكثر.

في صباح أحد الأيام، قرر آدم أن يغادر المستشفى، ليس فقط لأن جسده بدأ يشفى، ولكن أيضًا لأن عقله كان في حالة من التوتر والضياع، رغب في العودة إلى الحياة التي كانت قد توقفت فجأة منذ حادث الحافلة، وكان عليه أن يعرف شيئًا عن عائلته.

ذهب مباشرة إلى محطة الحافلات التي وقع فيها الحادث، كانت الرياح الباردة تعصف بالمنطقة، والشوارع تغمرها آثار الثلوج المتراكمة، دخل إلى المحطة وكأن الوقت قد توقف هناك أيضًا، كانت الذاكرة تعيده إلى ذلك اليوم المشؤوم، ولكن كان عليه أن يظل قويًا، اقترب من الموظفة خلف الكاونتر وسألها بحذر: "هل يمكن أن تخبريني إن كانت هناك أي معلومات عن هاتف مفقود؟ فقدته هنا منذ خمسة أشهر، في نفس اليوم الذي وقع فيه الحادث".

نظر إليها بترقب، وعينيه مليئتان بالأمل، ولكن الموظفة أجابت بنبرة رسمية: "نأسف، لا يوجد هاتف مفقود هنا منذ ذلك الوقت" شعور بالخيبة أصابه، وكأن جزءًا من حياته قد ضاع بشكل نهائي، شعر كما لو أن هذا الهاتف كان أحد الروابط التي تجمعه بالعالم الذي فقده.

بعد لحظات من الصمت، شكر الموظفة وخرج من المحطة، يشعر بحيرة أكبر من ذي قبل، لكن كان عليه أن يواصل البحث، ذهب إلى السوق واشترى هاتفًا جديدًا، شعر بشيء من الراحة لمجرد امتلاكه جهازًا يتيح له العودة إلى الاتصال بالعالم الخارجي، ولكن الإحساس بالضياع لم يخف.

بعد أن وصل إلى شقته الصغيرة، بدأ يبحث بين أغراضه القديمة، كان المكان خاليًا من الحياة، مليئًا بالذكريات التي تؤلمه أكثر من أن تهدئه، أخيرًا، عثر على دفتر صغير كان يحتفظ به، دفتر قديم متهالك يضم أرقام هواتف أفراد عائلته، فتحه بسرعة، وقلب الصفحات بنهم، وعيناه تبحثان عن الأرقام المألوفة التي لم يرها منذ وقت طويل.

أخذ الهاتف الجديد وبدأ في الاتصال بأرقام عائلته واحدة تلو الأخرى، لكن على الرغم من محاولاته العديدة، كانت كل الأرقام معلقه، لا أحد يجيب، كان الصوت الآلي يردد: "الرقم غير متاح" شعر بشيء غريب يتسلل إلى قلبه، شيء لا يستطيع أن يضع له اسمًا، كان نوعًا من القلق، مزيج من الألم

والعجز، وكأن العزلة قد أصبحت جزءًا منه، وكأن كل محاولاته لاستعادة الاتصال بعائلته أصبحت محكومًا عليها بالفشل.

لم يكن يعرف كيف يصف هذا الشعور، كان عقله يراوده العديد من الأسئلة التي لم يجد لها إجابة، لماذا لا يجيب أحد؟ هل هناك شيء ما حدث؟ هل كان قد تأخر جدًا في العودة إليهم؟ شعور بالضياع والعجز تغلب عليه، ولكن قلبه كان مليئًا بالألم، على الرغم من محاولاته المستمرة للبحث عن أي بصيص أمل.

جلست على الأريكة، عاجزًا عن التفكير، وأنتابني شعور ثقيل من الضياع، كانت أفكاري تتناثر، وكأنها أحجار متكسرة في بحر هائج، وغلبني النوم دون أن أشعر، حملتني الأحلام إلى عالم غريب ومخيف، حيث كانت هناك صور ضبابية ومشاهد مرعبة، في تلك الرؤيا، رأيت أفرادًا من أسرتي، وهم يصرخون، يبحثون عني في كل زاوية، وكأن روحًا مظلمة (اسمها فقر)" كانت تلاحقهم بلا هوادة، تشدهم إلى الوراء كلما حاولوا الهروب، استيقظت مفزوعًا، كان قلبي يخفق بشدة كأنني أواجه خطرًا غير مرئي.

بصعوبة، نهضت وتوجهت إلى المستشفى، حيث كانت ياسمين، الأميرة النائمة، هي أول ما شغل تفكيري، دخلت غرفتها، وأخذت رواية بيدي، عسى أن يكون صوتي يصل

إليها، في هذا العالم الذي لا تعرف فيه سوى النوم العميق، كنت أعلم في أعماقي أنها تستمع إليّ، رغم أنها لا تظهر أي حركة، كانت الروح وحدها التي تتحرك، جلست بجانب سريرها، أقرأ لها كلمات لا تسمن ولا تغني عن الأمل، لكنني كنت أتعلق بكل حرف أقرؤه، معتقدًا أن هناك في مكان ما، وراء حجب الغيب، جزءًا منها يسمعني.

أفكاري لم تفارق وطني، حيث كانت عائلتي تنتظرني، وسط الأزمات التي تعصف بنا، أردت السفر إليهم، أن أطمئن عليهم، لكنني ترددت، وكأن شيئًا ما كان يعوقني، قررت أن أتصل بهم غدًا، فإذا لم أتمكن من الوصول، فسأذهب بنفسي، رغم أن المسافة بيننا قد تكون أبعد مما تبدو، وفي تلك اللحظة، كان أملي الوحيد أن تستفيق أميرتي النائمة، ياسمين، وأن يشرق الفجر على عالمها المعتم، فتعود الحياة إلى عينيها، وتعود البسمة التي كانت تزين وجهها قبل أن تغيب في هذا النوم العميق.

في اليوم التالي، توجهت إلى الجامعة وسألت قسم شؤون الطلاب إن كانوا قد تواصلوا مع عائلتي، فأجابوني: "نعم، لقد حاولنا التواصل معهم، لكننا نتحدث الروسية وهم يتحدثون العربية، لذلك لم نتمكن من فهم أي شيء، وهم كذلك لم يفهموا ما أردنا أن نخبرهم به!! "أجاب آدم بهدوء: "حسنًا، شكرًا لكم". لكن شيئًا في داخله كان يصرخ بالشوق والحنين، عاد

إلى المستشفى بخطوات مثقلة بالتعب والأمل، حيث قابل الطبيب وقال له بلهجة تملؤها الرغبة: "أريد العودة إلى وطني، أريد أن أرى عائلتي" نظر الطبيب إليه بتفهم وقال: "سنُجري الفحوصات اللازمة، وإن كانت صحتك تسمح، ستتمكن من السفر لرؤيتهم".

بعد حديثي مع الطبيب، شعرت بشيء يجذبني نحو غرفة ياسمين، وكأن قلبي يعرف الطريق إليها قبل خطواتي، دخلت ببطء، تملؤني رهبة من رؤية وجهها بعد هذا الغياب الطويل، كانت مستلقية على سريرها، وحين رأيتها تفتح عينيها وتبتسم لي، اجتاحني شعور عميق بالارتياح والدهشة، كأنني أشهد معجزة صغيرة تتفتح أمامي.

اقتربت منها وقلت بهمس خافت: "أميرتي النائمة، أنا هنا، بجانبك" نظرت إلي بنظرة دافئة، وابتسمت ابتسامة خافتة، ثم قالت بصوت كأنه من عالم آخر: "كنت أسمعك وأنت تقرأ لي الروايات، لم أكن وحيدة".

شعر آدم بسعادة غامرة لا يمكن وصفها، وكأن كل القلق والخوف اللذين سكنا قلبه منذ أيام طويلة قد تبددا فجأة، رؤية ياسمين وقد استفاقت كانت لحظة انتظرها بشوق، مليئة بالراحة والأمل، بعد لحظات، دخلت الطبيبة إلى الغرفة، وبدأت بفحص ياسمين بعناية واهتمام، بينما كان آدم يراقبها بشغف، يتابع كل حركة وكل كلمة، وبعد نصف ساعة من

الفحص الدقيق، رفعت الطبيبة نظرها نحو ياسمين بابتسامة مطمئنة وقالت: "جسمك يتعافى بوتيرة جيدة، بعد شهر من الآن، ستكونين قادرة على المغادرة بصحة ممتازة".

وبعد أن اطمأن آدم على ياسمين، اقترب منها بصوت خافت وهمس: "أنا لا أستطيع الوصول إلى عائلتي، هاتفي القديم ضاع"، رفعت ياسمين رأسها، وجهها يعكس ألمها وإصرارها، وقالت: "لو كنت أستطيع السير، لكنت ذهبت معك، ولكن كما ترى، أنا هنا" ثم أضافت بحنان: "اذهب، واطمئن على عائلتك".

أجاب آدم بنبرة مفعمة بالتردد: "عندما أنتهي من الفحوصات، سأغادر" رفعت ياسمين عينيها لتلتقي بنظراته العميقة، وسألته بهدوء: "هل ستعود إلي هنا" صمت آدم للحظة، ثم فجأة قال بصوت خافت لكنه ثابت: "ما رأيك أن نتزوج"؟

أصاب الذهول وجه ياسمين؛ كانت كلماته تصدمها بقدر ما كانت تتمنى سماعها، تأملته بعينين دامعتين، وقالت بصوت متقطع: "أنا مريضة الآن يا آدم، لكن، نعم، أنا موافقة" مدّ يده مبتسمًا وقال: "أعطيني رقم والدك، سأتحدث معه" ابتسمت ياسمين بخجل وقالت: "بالتأكيد، سأكلمه اليوم، وسأجعلك تتحدث معه غدًا".

أجاب آدم وهو ينظر إليها بحب: "حسنًا، وثم قال بابتسامة مرحة: "والآن، سأذهب لأحضر طعامًا حقيقيًا، طعامًا لذيذًا، ليس كطعام المستشفى" ابتسمت ياسمين، وعيناها تلمعان بالأمل، وقالت: "أنا بانتظارك".

غادر آدم لشراء الطعام، وتركني غارقة في التفكير بكل كلمة نطق بها؛ من قلقه على عائلته إلى طلبه المفاجئ للزواج، شعرت بمزيج غريب من السعادة والحزن؛ فآدم شاب طيب ومكافح، وأنا أحبه، كنت أفكر في ردة فعل والدي، لكنني تذكرت كلماته لي دائمًا: "أنتِ من تمتلكين حياتك، وأي قرار تتخذينه لمصلحتك، سأكون معكِ، المهم أن تكوني راضية وسعيدة".

أخذت أعيد في ذهني كلمات آدم الدافئة، وشعرت بسعادة دافئة تتسلل إلى قلبي.

عاد آدم وجلب الطعام، وجلس بجوار ياسمين، يقضيان لحظات دافئة معًا وسط تفاصيلهما الصغيرة، بعد ساعات من الحديث العميق والمليء بالأمل، قرر آدم المغادرة لترتيب بعض الأمور الضرورية في المنزل، وأثناء ذلك حاول الاتصال بعائلته، لكن دون جدوى.

في اليوم التالي، عاد إلى المستشفى ليجد ياسمين تبتسم ابتسامة دافئة وتقول له بنبرة هادئة: "تحدثت مع والدي، وقد رحب

بالفكرة، هو موافق، لكنه يريد التحدث معك" تبادل آدم وياسمين نظرات مليئة بالامتنان، ثم ناولته رقم والدها.

اتصل آدم بوالدها، وكان صوته يحمل مزيجًا من الحكمة والطمأنينة، عرّف آدم بنفسه، وأخبره بكل صدق عن ظروفه وأحلامه، وعن مشاعره الصادقة تجاه ياسمين، بعد لحظات من الصمت، جاء رد والدها يحمل عمقًا ورضًا قائلاً: "ياسمين اختارتك، وهي سعيدة، وهذا كل ما أريده".

شعر آدم بفرحة عارمة تسري في قلبه، وكأن كلماته حملت معه بركة الموافقة والقبول، كانت تلك المحادثة دليلاً جديدًا على أن الحب والاحترام هما الأساس الأقوى لبناء حياة مشتركة.

في اليوم نفسه ، ذهب آدم إلى المطعم ليطمئن على وضع عمله، ليتفاجأ بأن صاحب المطعم لم يقطع راتبه، واستقبله بابتسامة وقال له: "هذه إصابة، ونحن قانونيًا نتحمل كل شيء" شعر آدم بامتنان عميق لهذه اللفتة، وقال مطمئنًا: "سأعود للعمل بعد شهر من الآن"، فرد صاحب المطعم مبتسمًا: "لا توجد مشكلة، يا صديقي".

عاد آدم إلى المنزل وهو يشعر بالراحة؛ وضعه المادي كان جيدًا، فقد ادّخر بعض المال لبناء منزل العائلة، وراتبه في المطعم لم يتوقف، كانت هذه لحظة جميلة أدرك فيها أن المال

لن يكون عائقًا أمام زواجه وبناء المنزل، بل إنه يملك ما يكفي لتحقيق أحلامه.

بعد عدة أيام من الفحوصات، جلس آدم مع الطبيب الذي قال له بلهجة حازمة: "السفر مستحيل قبل شهرين، ولن يكون ذلك إلا بعد التأكد من استقرار حالتك، هذه إجازة إلزامية، ستبقى في المنزل للراحة"، نظر الطبيب إلى آدم بعين متفهمة، وأضاف: "سمعت أنك تعمل في مطعم، والدولة هنا تتكفل قانونيًا بتغطية نفقاتك العلاجية".

تنهد آدم وأجاب بقلق: "المشكلة ليست في المال، المشكلة أنني لا أستطيع الوصول إلى عائلتي، لا يوجد من يطمئنني عن حالهم" ربت الطبيب على كتفه بابتسامة مشجعة وقال: "اعتبر أنك ما زلت تتلقى العلاج هنا، وسفرك مستحيل قبل أن نتأكد تمامًا من شفائك".

ثم تابع الطبيب بابتسامة أمل: "هناك خبر جيد، ياسمين ستغادر المستشفى بعد بضعة أيام، لكنها بحاجة إلى الراحة والالتزام بأخذ الدواء في وقته، سنحرص على زيارتها بانتظام للاطمئنان على حالتها".

شعر آدم بمزيج من الراحة والقلق؛ كان يطمئن على ياسمين، لكنه يدرك في الوقت نفسه أن عليه مواجهة تحدياته وحده،

مستمرًا في رحلة التعافي ومواجهة أقداره البعيدة عن وطنه وأحبائه.

ياسمين: تزوجت من آدم، وكنت في غاية السعادة، كان يعاملني بلطف واهتمام لا يوصف، يعتني بي أثناء مرضي، يطبخ لي الطعام، ويعطيني دوائي في مواعيده، ومع مرور الوقت، بدأت أتمكن من التحرك بشكل أفضل، وبفضل الله، بدأ الشفاء يأخذ مجراه، كنت أشعر كأني أسعد فتاة في العالم، فقد أصبح منزلنا جميلًا ودافئًا، مليئًا بالحب والرعاية، ولكن بعد أيام قليلة، سيغادر آدم لزيارة عائلته، تلك اللحظة التي طالما انتظرتها، ستتحقق أخيرًا، وبعد بضعة أيام، سيعود ليطمئنهم ويعرفهم على حياتنا الجديدة.

اليوم هو اليوم المنتظر، يوم السفر، بعد أن تأكدت من صحة ياسمين وأطمأننت عليها، جهزت كل شيء استعدادًا للرحيل، شعرت بمزيج من السعادة والحزن، وكان قلبي يتألم من شدة الاشتياق، اليوم سأعود إلى عائلتي: أبي، أمي، أخي، وأختي، بعد فترة طويلة من الغربة، اشتريت لهم بعض الهدايا، ثم ودعت ياسمين، زوجتي، وقلبي ثقيل بالمشاعر، وغادرت متوجهًا إلى المطار.

وصلت إلى وطني في المساء بعد سفر طويل، استقليت سيارة أجرة وتوجهت إلى بلدتي التي كانت كما عهدتها، هادئة والشوارع لم تتغير، لم يكن غيابي طويلاً، فقد مرَّ نحو أربع

سنوات تقريبًا، لكن من تغير هو أنا، عندما اقتربت من أطراف المنزل، نزلت من السيارة مع حقائبي وأنا في حالة من الصدمة والذهول.

كان المنزل محطمًا، اقتربت منه بخطوات متثاقلة، وفي داخلي شعور غريب، دخلت من الجهة الغربية فوجدت الحائط مدمرًا والسقف متأثرًا بشكل كبير، تساءلت في نفسي: ماذا حدث؟ شعرت بشيء غير معقول؛ كنت أضحك وأبتسم في الوقت نفسه، ثم فجأة انطلقت صرخة مني، وقلت: "أين أنت يا أبي"؟

لكنني سمعت صوت شخص يقترب، فإذا برجل عجوز، وقال بحذر: "من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ ولماذا تصرخ؟" أجبت بصوت مختنق: "أنا آدم، وهذا منزلي" نظر إليّ الرجل بدهشة، ثم ساد الصمت بيننا، لم يكن يعرف ماذا يقول، ثم قال بحزن: "أتيت متأخرًا يا آدم، انهار السقف، وعائلتك في ذمة الله".

شعرت وكأن الأرض انخسفت تحت قدمي، فاقتربت من قطعة أثاث محطمة، وجلست بجانبها، وأنا أردد في نفسي: "أنا السبب، لو كان المال كافيًا، ربما كنت قد أصلحت السقف"، اقترب الرجل مني وقال بهدوء: "اهدأ، يا بني، هذا قدر الله".

أجبت الرجل العجوز بصوت مكسور: "متى وكيف انهار السقف؟" فأجاب، وهو يحدق في الأرض: "أقبلت عاصفة

ثلجية كانت الأقوى والأشد، وانهار كل شيء تحت وطأتها"، تساءلت بعينين غارقتين في الحزن: "وأين عائلتي؟" فأجاب: "مدفونة في مقبرة البلدة".

حملت حقائبي وانطلقت صوب المقبرة، وكان العجوز يسير بجانبي بهدوء، مدركًا تمامًا أن قلبي كان يعتصره الألم، وصلنا إلى المقبرة، ولكن لحظة الوصول كانت أقسى من أن تُوصف بالكلمات، شعرت بالعجز، وكأنني لا أملك شيئًا يمكنني فعله، جلست هناك، أمام قبورهم، وكلماتي كانت تخرج بصعوبة، تحمل بين طياتها ألم الفقد، الحزن، والندم.

بعد صمت طويل، قال العجوز: "تعال معي إلى منزلي" أجبت بصوت منخفض: "لا أريد البقاء هنا، عندما يشرق الضوء، سأغادر، لم يعد لي شيء هنا" اقتربت من قبر أمي، ووضعت يدي على الأرض، قائلاً: "عدت يا أمي، أنا هنا" تحدثت إليهم، أخبرت عائلتي بكل ما مررت به منذ لحظة وصولي، من الحادث، إلى اختفائي، إلى عودتي، وشرحت لهم كل شيء بتفاصيله، ثم طلبت منهم، بكل ما في القلب من أسى، أن يغفروا لي تقصيري.

أخبرت عائلتي عن زوجتي ياسمين، وقلت لأمي: "لقد كسرت لعنة الفقر، لكن يبدو أن المنزل القديم كان له رأي آخر" شعرت بغضب عارم، فقررت العودة إلى ذلك المنزل القديم، وكان نظري له مشبعًا بالحقد والألم، أضرمت فيه النار كنوع

من الانتقام، تركته يحترق أمام عيني، وغادرت المكان وأنا أحمل معي ألمي الجديد.

عدتُ إلى سانت بطرسبورغ، وأنا محمَّل بعبء ثقيل، منهزمًا وضائعًا، كان شعورًا يصعب وصفه، لكن الألم كان يعتصرني بقوة، سرتُ قليلًا في شوارع المدينة الباردة، المدينة التي أصبحت منزلي أو ملاذي من كل شيء، حين وصلت إلى المنزل، وجدت ياسمين غارقة في النوم، لم أستطع إيقاظها، بدلاً من ذلك، توجهت إلى النافذة، أحدق في المطر المنهمر، أو ربما كنت شارد الذهن تمامًا، لا أعي ما يحدث حولي.

بعد لحظات، استيقظت ياسمين، نظرت إليّ بدهشة وكأنها تحاول استيعاب عودتي المفاجئة، قالت بصوت متردد: "آدم، متى عدت؟ ولماذا كانت زيارتك قصيرة جدًا؟ ماذا حدث"؟

نظرت إليها بصمت قبل أن أنطق بالكلمات التي بالكاد استطعت إخراجها: "ياسمين، لقد تصدع سقف المنزل وانهار وماتت عائلتي".

رأيت عينيها تمتلئان بالدموع وهي تقترب مني ببطء، لم أكن أعرف كيف أعبّر عن شعوري، كنت كأنني جسد بلا روح، فجأة، احتضنتني ياسمين بقوة، وعمّ الصمت بيننا، صمت ثقيل حمل كل ما عجزت الكلمات عن قوله.

في تلك اللحظة، شعرت وكأن الزمن قد توقف، المطر بالخارج كان خفيفًا، كأن الطبيعة بأكملها تخشى أن تقاطع هذا الصمت، ياسمين كانت تمسك بي بقوة، كأنها تحاول أن تمنعني من الانهيار، لم أستطع أن أبكي، لم أستطع أن أتكلم، شعرت ببرودة في صدري، وبرغم دفء حضنها، كنت كأنني محاصر في جليد لا يذوب.

بعد لحظات، رفعت ياسمين رأسها لتنظر في عيني، وقالت بصوت متقطع: "آدم، أنا هنا، لن تكون وحيدًا، سنجد طريقة لنكمل، هذا الألم، سنحمله معًا".

لكن كلماتها لم تصل إلى أعماقي، كنت أشعر بأنني عالق في مكان بعيد عنها وعن كل شيء، رأيت في عينيها محاولة صادقة لتكون القوة التي أفتقدها، لكنها لم تكن تعلم أنني لم أعد أنا، كنت هشا، شيء ما انكسر بداخلي، شيء لا أعرف إن كان يمكن إصلاحه.

عدتُ لأنظر إلى النافذة، كان المطر يتساقط بغزارة، يشبه الدموع التي لم أستطع ذرفها، سانت بطرسبورغ، تلك المدينة التي كنت أعتبرها ملاذي، بدت لي الآن كمدينة غريبة، كل شيء فيها يذكرني بما فقدته، وكل زاوية فيها تحمل ذكريات بعيدة عن منزل لن أعود إليه أبدًا.

ياسمين كانت تقف خلفي، تراقبني بصمت، كأنها تفكر في الكلمات التي قد تُخفف ما أعانيه، لكنها أدركت كما أدركتُ أنا، أن بعض الأوجاع لا دواء لها.

الخاتمة: ومع مرور الأيام، تكشفت أمام آدم الحقائق التي لم يكن يتوقعها، وتوالت الصدمات التي جعلت كل شيء يبدو ضبابيًا، لكن رغم كل ما مر به من خسائر وآلام، أدرك أن الحياة لا تعطي إجابات كاملة، وأن الأقدار تكتب مساراتنا بأيدٍ لا نملك التحكم فيها، لم يكن المال هو الحل، ولا حتى العودة إلى الوطن كما تصور؛ فالحقيقة كانت أكثر تعقيدًا.

في النهاية، اكتشف آدم أن القوة الحقيقية تكمن في التحمل، في العيش مع الألم، وفي القدرة على المضي قدمًا رغم كل شيء، لم تكن نهاية قصته مجرد نقطة وصول، بل بداية لفهم أعمق للحياة، وفهم أصدق لعلاقته بذاته وبالآخرين.

حيث أدرك آدم أن رحلته لم تكن مجرد بحث عن النجاح أو الهروب من الفقر، بل كانت رحلة بحث عن الذات، عن الصفح، وعن القدرة على المضي قدمًا في عالم لا يعترف بالضعفاء، وكل خطوة أخذها، كانت تحمل في طياتها دروسًا قاسية، لكن في النهاية، تعلم أن الحياة ليست مجرد قصة خطية، بل هي مجموعة من اللحظات التي تشكلنا، وتعيد تشكيلنا في كل مرحلة.

إهداء أمل في سانت بطرسبرغ:

إلى كل من حمل حلمًا في قلبه، وسعى لتحقيقه رغم العواصف، إلى أولئك الذين يؤمنون أن الأمل هو النور الذي لا ينطفئ، مهما كان الطريق طويلاً ومهما كانت التضحيات كبيرة.

هذا الإهداء يعكس روح الرواية ويُظهر تقديرًا للذين يواجهون التحديات رغم الظروف الصعبة.

تذكير

"كل خطوة صغيرة نخطوها نحو هدفنا، مهما بدت غير مرئية، هي جزء من طريق طويل نحو التغيير، لا تستهن بقوة المثابرة".

إهداء: إلى من لا يزال يطارد حلمه رغم صعوبة الطريق، إلى أولئك الذين يؤمنون أن الأمل لا يموت مهما كان الظلام كثيفًا، وإلى كل من يحمل عبء الأجيال القادمة في قلبه، ويسعى ليكسر قيود الماضي.

نصيحة: "لا تدع اليأس يسرق منك ما تبقى من أمل، فكل تحدٍ هو فرصة لتكتشف قوتك الحقيقية، التقدم قد يكون بطيئًا، لكن كل خطوة تقربك من هدفك".

أمل في سانت بطرسبورغ

سنرافق آدم في رحلته التي تفيض بالأحلام والتحديات، سنشعر بكل لحظة يعبر فيها بين الأمل واليأس، وهو يحارب من أجل تحقيق حلمه في مدينة غريبة، خلال هذه الرحلة، سنكتشف كيف يأخذ القدر منه أغلى ما في قلبه، ليتركه وحيدًا في مواجهة مع ألمه، لكن رغم كل شيء، سيظل الأمل حيًا في قلبه.

هذه الرواية ليست مجرد سرد للأحداث، بل هي رحلة عميقة إلى أعماق الروح ، حيث يتقاطع الحلم مع الواقع، ويبقى الأمل شعاعًا ينير الطريق رغم كل الظلام.

سنكون أيضًا جزءًا من قصة آدم، نشاركه أحلامه وآلامه، لنكتشف أن الأمل لا يموت أبدًا، بل يزدهر في أصعب اللحظات.

أمل في سانت بطرسبورغ ليست مجرد رواية، بل هي دعوة للاحتفاظ بالأمل، مهما كانت الحياة قاسية.

ISBN 978-9923-734-77-3

دار المشكاة للنشر و التوزيع
الأردن - اربد - شارع الثلاثين
TEL : 00962 7 9974 6818
Dar.Almishkat@hotmail.com

دار المشكاة للنشر والتوزيع
ALMISHKAT
publishing and distribution